

نمير وز عيط في جزائر البحر

جمال شاهين

المكتبة الخاصة ٢٠٢١

بسم الله الرحمن الرحيم




جمال شاهين
١١
قصص وحكايات
الفوارس

ذهب الأخوة الثلاثة لجلب الديك

من بلاد جزائر البحر السبعة

وتعرض نمير للأسر وانتشر خبر موته

ولما كبر زعيط سعى لمعرفة مصير أبيه

فدخل سلك السحرة في جزائر البحر

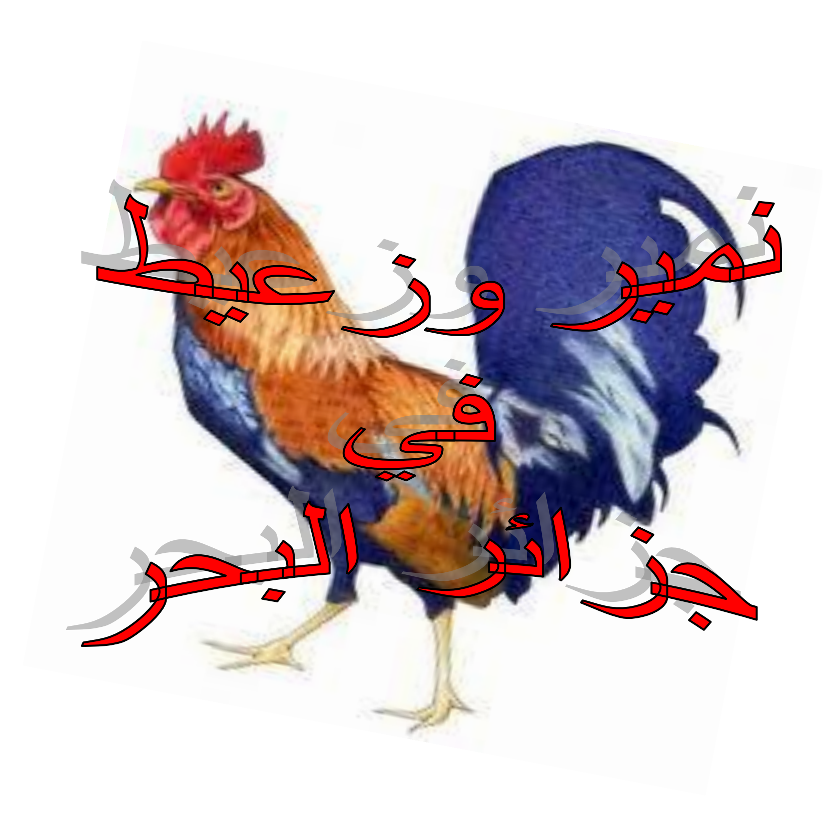
ثم رجع خائبا من رحلة طويلة

ولما استقر في وطنه ظهر نمير حيا سعيدا

بلقاء ولده الذي اصبح أميرا وملكا على مدينة أبيه

ما مصير الديك ؟

هذا ما ستطلع عليه في حكاية نمير وزعيط والديك


نمير وزعيط
في
جزائر البحر

حكم الملك دريد

قال الراوي جابر بن نادر : فمن القصص العجيبة والحكايات الغريبة التي سمعنا من الرواة والتي هي أغرب من خيال الشعار ، قصة الأمير نمير بن دريد واخوته الأبطال ، وما حدث لهم مع الأيام والزمان ، وتبدأ حكاياتنا هذه – أيها السادة الكرام – في السنوات الأخيرة من حياة الملك دريد ، عندما مرض الملك الجبار ذو السطوة والاقتدار دريد بن انهار ملك بلاد الغال والمال ، وعجز الأطباء والحكماء عن وصف الدواء ، فدخل عليه القادة والقضاة والعلماء والسادة الأكابر، وبعد أن دار الحديث والكلام تكلم كبير القضاة طالبا من ملك البلاد في ذاك الزمان دريد بن انهار بتعيين أحد أبنائه العشرة خليفة له عند وقوع المقدر ، حتى يبايعه الأكابر ، ولا تحدث فتنة وصراع بين الاخوة العشر على التاج ، فرحب الملك العتيد باقتراحهم ، وفرح لمصلحتهم على الدولة من الضياع والانهيار ، وطلب من وزيره فهد بن عاد باستدعاء أبنائه من قلاعهم ومدنهم العشر التي يحكمونها للنظر في ولاية العهد ، وبعد حين أقبل الأمراء من ولاياتهم وبصحبتهم وزرائهم ، والتفوا حول الملك العجوز دريد بن انهار، وأخبرهم أنه في صحة متداعية ، والموت قريب ولا مفر منه ، وأن لديه رغبة بتعيين أحدهم وريثا على تاج المملكة الواسعة الأطراف ، وطلب منهم الاتفاق على اختيار واحد منهم وليا له يستطيع حمل الأمانة وأعباء هذه المملكة الكبيرة التي تضم خمس عشرة مدينة ومئات الآلاف من العساكر والأجناد القوية ، فأمهلهم الملك ثلاثة أيام للتشاور واختيار أحدهم ، ولما مضت المدة حضروا بين يدي الملك ، ووجد أن ثلاثة منهم يطمعون بخلافته والسبعة الآخرين قنعوا بما بين أيديهم من حكم الولايات ، فوهبهم الملك حكم ولاياتهم للأبد حتى هلاكهم ، وأشهد على ذلك العلماء والحكماء والقادة ، وصرفهم إلى قلاعهم ومدنهم ، وأما الثلاثة الآخرون فمنحهم خمسة أيام للتشاور والتفاهم بينهم ، وأن يتنازل اثنان للآخر ؛ ولكنهم أصروا على خلافة الوالد دريد ، فصرفهم للتفكير مرة ثالثة ، وأمهلهم سبعة أيام كاملات ، وعادوا بعد تلك الأيام السبعة ، وكل واحد منهم يريد أن يكون الملك الأكبر ، ولم يتنازل بعضهم للآخر

فجمع الملك الأعيان والأكابر في ديوان الحكم ، وأحضر بين يديه الأبناء الثلاثة ، وأمام ذلك الجمع نطق بهذا الكلام : أيها القادة والأبطال ! وأيها الحكماء والأفاضل ! طلبتم مني تعيين خليفة لكم من بعدي .. فجمعت الأبناء العشرة ، وطلبت منهم اختيار واحد ؛ ليكون الوريث لهذا الملك الكبير ، فتنازل سبعة منهم عن هذا الأمر العظيم ، وأصر هؤلاء الثلاثة ـ وأشار لأبنائه ـ على عدم التنازل لواحد منهم ، فلذلك سأطلب من كل واحد منهم نفيلة .. مطلبا صعبا ، فمن حققه على الوجه المطلوب دون الآخرين ، فهو الأحق بهذا التاج وسأعطيهم مهلة أخرى قبل سماع مطالبي ، ومن طلبت منه الطلب وانسحب أمرت بقتله دون رحمة وهوادة .. انصرفوا وعودوا لهذا الاجتماع بعد ثلاثة أيام لنرى ونسمع ..

عاد القوم بعد المدة المطلوبة واجتمعوا في الديوان أمام الملك دريد ، وبينهم الاخوة الثلاثة وهم مصرون على عدم التنازل، ويطمع كل واحد منهم بالتاج الأكبر، فبعد أن سكنت الأصوات والخطرات قال الملك : يعجبني هذا العناد والإصرار على تاجنا العظيم .. أيها الناس ! سنكلف الأمير نميرا بالسفر لبلاد الصاد ، فقد علمنا أن عند مليكها أسدا مشهورا يرعب به الخلق ، فاحضر لقومك رأس أسد ذلك الملك الطاغية دون تأخير .. وأما ابننا سبع الغاب فعليك بالسفر لبلاد الزمام ، فعند حاميها ثعبان ضخم يرعب به العباد ، فاحضر رأسه دون تأخير أو إمهال .. وأما الأمير جرادي فقد نقل إلينا أن في بلاد الراق زعيما يسوم الناس سوء العذاب .. فلا بأس أن يرى هؤلاء الكرام رأسه أمامهم ، ولخلاص تلك الأسر والبلاد من ظلمه وسوء خلقه ..ومن عاد غانما وسابقا فهو الأحق بهذا التاج الذي فوق هامتي .. وسيكون ابني شميس حاكما من بعدي إن أدركني الموت حتى يعود الفائز منهم بما طلب منه فاذهبوا ونفذوا ما كلفتم به ، ولا أحب أن أرى وجوهكم إلا بعد تحقيق ما طلبت منكم .

خرج الاخوة الثلاثة من مجلس الملك إلى أحد البيوت للتشاور والتدبر ، فأرسل كل أمير إلى نائبه على ولاية المدينة التي يحكمها إرسال ألف فارس إلى مدينة السوق ، واتفق الاخوة أن يسيروا معا إلى المواقع الثلاثة بجنودهم لغزو تلك البلاد ، وإحضار ما طلب منهم والعودة

سوية ، فوالدهم لم يشرط أن يذهب كل واحد منهم بمفرده إنما طلب تحقيق تلك الغايات والسابق هو الفائز ، ولما تجمعت الجنود في مدينة السوق ، تحرك الأمراء الثلاثة جميعا ، فساروا بداية إلى مدينة الصاد ، وبعد عشرة أيام دخلوا أطرافها ، فكتبوا لحاكمها رسالة يطلبون منه رأس الأسد الذي يخيف به الشعب أو يستعد لقتالهم ، فلم علم مضمون الخطاب غضب ذلك الملك المشؤوم ، وأصدر الأمر لجنوده وقادته بالاستعداد والخروج للقتال وأسر الأمراء ؛ ليكونوا طعاما للأسد المخيف .. والتقى الجيشان خارج أسوار المدينة ، وهزمت جنود الملك وتشتتوا أمام فرسان الغال والمال مم دفع الملك للخروج بنفسه ؛ ولكن كانت جنوده تحارب بوهن ، وما احتدم القتال حتى رأيت ذلك الملك مصروعا ، وولت جنوده الأدبار في التلال والوديان ، ودخلت جنود الأمراء المدينة تفتك بالعساكر والناس حتى فزع أشراف المدينة للأمراء يطلبون الأمان والسلام ، وهم على استعداد لدفع المال وما يفرض عليهم ، فلما منح الناس الأمان عاد الهدوء للمدينة ، طلب الأمراء قاضي المدينة وسألوه عن قصة الأسد والملك المصروع ، فقال لهم : هذا الأسد أحد الأسود الكثيرة للملك الميت ، فإما أن يصطادها أو يشتريها ..وأما هذا الأسد الضخم فقد بنى له قصرا معلقا على أعمدة وجعل له بابا في سقفه يقذف منه الطعام والشراب والضحايا من بني الإنسان ، فكل من يحكم عليه بالموت يطرح لهذا الأسد المرعب حتى اشتهر أمره بين الناس ، وتوحش الحاكم وأكثر من الفتك بالناس ليشبع شهوته وشهوة السبع .. فهذه قصة الأسد !.. فطلب الأمير نمير أن يدلوه على قصر الأسد ، وانطلق هو الأمراء وعدد من جنودهم لمصارعة الأسد ، وهرع الناس لرؤية مصرع الأسد المرعب .. تسلق نمير السلم إلى سطح قصر الأسد ونظر المكان ، وسمع الناس زئير الأسد عندما أحس بهم ، فرج المكان من حدة زمجرته وصياحه مما أوجف القلوب ، فطلب الأمير من فرسانه أن يدلوه إلى قصر الأسد ، وبعد تردد منهم وأمام رغبة والده بقتل الأسد ، وأخذ الرأس أنزلوه رويدا رويدا ، فلما استقر على الأرض قفز عليه الأسد سريعا معتقدا أنه ضحية رميت له فانحرف الأمير ببراعته وقوته عن طريقه ، واستعد للقفزة التالية التي تلقاها

بسيفه الفولاذي فخر الأسد جريحا ، فأتبعه بضربة قاصمة ، ثم حز رأسه ، وأصدر الأمر لجنوده بقتل كل وحوش الملك المصروع ، وهدم قصر الأسد ، وبعد أيام ودعوا أهل المدينة بعدما نصبوا عليها ملكا يدفع الجزية للملك دريد ، وساروا بجنودهم إلى بلاد الزمام لقتل الثعبان المرعب ، ولما حطوا رحالهم بقربها أرسلوا رسالة لأهل المدينة والملك يخبرونهم بسبب زيارتهم لبلادهم وحاجتهم ، فرفض الملك وأرسل جنوده لقتالهم فانهزموا شر هزيمة ، ثم استسلم لهم الملك ، وأذن لهم بقتل الثعبان ، فتقدم سبع الغاب إلى جحره وعرينه فألقى له حملا صغيرا شغله به ، ثم هجم عليه وقتله وقطع رأسه ، وأراح الناس من رعبه ، وشدوا الرحال إلى بلاد الملك الظالم في بلاد الراق ، ولم علم الزعيم بالغاية من مجيء هؤلاء الناس إليه وغزوهم لبلاده استعد للحرب والدفاع عن نفسه ؛ ولكنه أمام فرسان مدربين غزاة انكمش في قصره بعد هزيمة جنده ، فعرض عليهم الأموال والذهب فأبوا إلا رأسه وقاموا بحصاره ، مما اضطره للخروج للقتال قتال المستميت حتى هلك وجزت رأسه ، وتحررت البلاد من ظلمه وطغيانه ، وعاد الأمراء إلى بلادهم غانمين ظافرين ، فوجدوا الملك ما زال على قيد الحياة فوضعوا الرؤوس الثلاثة أمامه ، فتعجب الناس من فعلهم واتفاقهم واجتماعهم ، ولم يتفقوا على التنازل عن العرش

لأحدهم ، فتسأل الناس والملك : ما الغاية من فعلكم هذا ؟!

فقال نمير: نحن اخوة ، أبونا واحد وأمنا واحدة ، ولا نريد أن نخسر أنفسنا فاتفقنا والاجتماع قوة .

وقال سبع الغاب : نحن اخوة أبناء أم وأب ، فكيف نضحي ببعضنا من أجل رأس أسد وثعبان وظالم ؟!

فقال جرادي : بما أننا اخوة ونحب بعضنا قلنا نقاتل معا .

صرفهم الملك دريد، وبعد أيام عقد لهم مجلسا آخر ، قد جمع فيه السادة والأعيان من الأمراء والفرسان تحدث فيه دريد بن انمار فقال:أيها الأمراء والوزراء! أمام رغبة أبنائي الثلاثة في

خلافتي معا ، قررت بعد تفكير ونظر إما تقسيم مملكتنا هذه إلى ثلاثة ممالك ، كل ملك تخضع له مدن وولايات، أو أن يحكم كل واحد منهم سنة وهكذا، أو أن يسافروا في البلاد وتتويج ملكهم بديك الجزائر جزائر البحر ، فمن أتى بالديك دون الآخرين ، وعاد ظافرا ناجيا فهو وريثي ، فاختاروا ما ترونه مناسبا لكم .



فبعد تشاور رضي جرادي بحكم ثلث الملكة ، وأن يستقل في ولايته وحكمه إن قبل أخواه بذلك ، أما نمير فقال : أما أنا فسأذهب وأبحث عن ديك جزائر البحر ، وسيكون سفري بمفردي مع خادمي الأمين " رجب " .

وقال سبع الغاب : لو رضينا بالاقتراح الأول لكان خيرا لنا ! .. أما أمام رغبة نمير في جلب ديك جزائر البحر فسأخرج من طريق أخرى ابحث عنه .. فالبحر لا يحتاج لعساكر للمساعدة

فتكلم دريد : أنتم تتنافسون على ثلثي المملكة .. ولكن من أحضر هذا الديك المجهول ، فهو ملك هذه البلاد كلها مع الثلث الذي سيتولاه جرادي ، أو يسافر للبحث معكم .

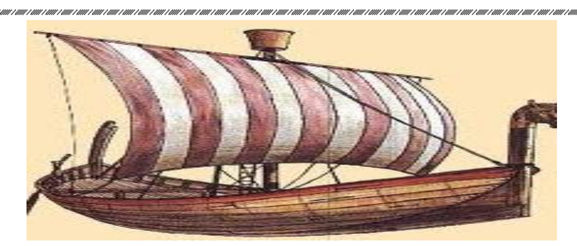
فعندئذ خضع جرادي لرغبة الملك ، ورأى أن لا مفر من الرحيل ، فأخذت المواثيق والعهود من الأمراء والأكابر على أنه من أتى بالديك قبل أخويه أصبح الملك الأكبر لبلاد المال والغال ، ويحق لأبنائه وراثة الملك من بعده ، وبعد أيام انطلقوا لمدنهم التي يتولون حكمها ، وكل منهم يسأل عن ديك الجزائر جزائر البحر ما هو ؟ وأين هو ؟!

قال جابر بن نادر : وهكذا أيها السادة الكرام ! بدأت رحلة المتاعب للوصول إلى التاج الملكي بسبب عدم الرضا بالقليل ، فلما عاد الأمير نمير إلى ولايته التي يحكمها نيابة عن والده

والتقى بزوجته الأميرة " ظبا "، وقص عليها حكايته منذ سفره إلى عاصمة الملك في تلك البلاد ، فنصحته بالتخلي عن التاج الكبير، وأن يقنع بحكم هذه المدينة كسائر اخوته السبعة ، فغضب منها واحتد ، وصفعها على وجهها بعد أن حقرها وذمها ، وقال لها غاضبا : أتريدين مني أن أظل هنا بين الخدم والجواري والطعام والشراب ؟!.. ألهذا خلق الرجال والفرسان وأبناء الملوك ؟!.

فغادرته الأميرة غاضبة باكية ، فخرج لديوانه واجتمع بقادته وفرسانه ، وذكر لهم الأمر وما جرى بينه وبين والده واخوته والقضاة ، وسألهم عن جزائر البحر ، فاحضروا له سحرة المدينة وكهنتها ، وسألهم عن جزائر البحر وديكها ، فلم يحر أحد منهم جوابا ، وذكر له أحدهم أن ساحر الجبل قد يعرف المكان ، فطلب منه الأمير بإحضاره أو يسافر إليه بنفسه ويأتي بالخبر ، فسافر الساحر وعاد بعد حين ليخبر الأمير بأن جزائر البحر بلاد بعيدة ، وهي سبع جزر في البحر العظيم ، يحكمها سبعة ملوك جبابرة ، ويخضع هؤلاء الملوك الجبابرة لملك أعظم منهم ، فهو يملكهم ويحكمهم بمساعدة الديك العجيب الديك الساحر ، ولا يعلم سره إلا قليل من الخلق .. والطريق إلى جزائر البحر، هو السفر من مدينة غندور البحرية في رحلة طويلة قد تستغرق سنة أو سنوات .

فلما علم الأمير نمير الأخبار عين نائبا له ، وودع أمراءه وقادته ، ورجع إلى قصره فعلم أن امرأته هربت إلى أهلها وقومها ، فلم يكترث للأمر ، وأوصى قيم القصر على القصر ، ثم أخبره بأن يرسل خادما لوالد زوجته وزوجته ، ويخبرهما بسفره لبلاد جزائر البحر، وأوصاهم بأن زوجته إذا وضعت مولودا ذكرا أن تسميه "زعيط " ، وإن كان المولود أنثى فلتسمها ما تشاء، وجهز نفسه هو ورجب خادمه ، وركبا فرسين وسارا إلى مدينة غندور البحرية ، فبعد شهور من السير في الجبال والوديان والقيعان والمدن والقرى وصلا إليها، وباعا جواديهما وثيابها الثمينة ، ولبسا ملابس العامة والبسطاء والفقراء ، وبحثا عن مركب مسافرة إلى جزائر البحر في تجارة من التجارات .



وبعد ضنك وتعب وجدا من قبل أن يحملهما على ظهر سفينته على أنهم من البحارة على أن يهربا لما يصلا إلى هناك ، ولما تجهزت القافلة البحرية للسفر إلى تلك الجزائر ، وكانت تتكون من عدة سفن ممتلئة بالبضائع والتجار ، وعلم نمير من البحارة والنوتية أنهم لا يسمح لهم بدخول تلك الجزر إنما يحطون رحالهم في مدينة قريبة من هناك يتبادلون البضائع مع تجار الجزر ويقفلون عائدين بعد رحلة تستغرق سنة مع تسهيلات ربانية من رب البحر والسموات والارضين السبع ، وعندما يصلون لمدينة " الكمن "، هناك عليهما أن يختفيا ويكمنا حتى تنصرف السفن ثم يدبرا أمر انتقالهما لتلك الجزر ، فأول جزيرة من تلك الجزر لا تبعد عن مدينة الكمن سوى ساعات في الماء ، حلت الحبال وانطلقت السفن التجارية تمخر عباب البحر العظيم إلى بلاد جزائر البحر ..كانوا أحيانا أثناء الرحلة ينزلون بعض الجزر في البحر ، أو بعض المدن البحرية يتزودن بالطعام والماء أو بيع بعض البضائع وشراء غيرها ، مرت الأيام والشهور والسفن تعوم على سطح البحر ، وقد واجهت الأمواج العاتية والعواصف الهائجة والرياح الشديدة ؛ ولكن عناية وحماية الخالق العظيم حفظتهم حتى نزلوا مدينة الكمن في الموعد المحدد ، سنة من السنين بخسائر طفيفة في الأرواح والأموال ، رست السفن وثبت بالأوتاد الكبيرة والحبال المتينة ، وأخذ الناس من التجار والبحارة بالهبوط إلى الساحل ، فوجدوها مدينة مزدحمة بالخلق من مختلف الأجناس والألوان ، واستمر الموسم شهورا حتى باع الناس ما أحضروه من البضائع الجميلة من الثياب والتوابل والخيول والأنعام والعطور والسيوف والرماح والمدى والقسي ، واشتروا من جواهر تلك البلاد وثيابها وأصوافها وسيوفها وحبوبها ، وبعد حين قررت قافلة الغندور العودة لبلادها بعدما شروا من الطيور والوحوش الغريبة الأشكال والألوان ، وطلب البحار الذي حمل معه نميرا ورجبا منهم

الاستعداد للاختفاء حتى تختفي السفن في البحر بضعة أيام ، فيعملان أنهما تأخرا عن السفن بحجة ما ، وسينتظرون سفنا قادمة من بلاد الغندور، فلابد من قافلة قد خرجت من تلك المدينة البحرية جهة مدينة الكمن ، وسافرت القافلة واختفى الرجلان بضعة أيام ، وكان نمير ورجب خلال الفترة التي قضاها التجار بالبيع والشراء يسألان ويتحريان عن جزائر البحر والملوك السبعة والملك الأكبر "جـنـفل " صاحب الديك الساحر ، وكانا يتحصلان على المعلومات ببساطة وسذاجة ، وقد عملا عند أحد التجار في مدينة الكمن على أمل مجيء سفن من مدينة الغندور ، وبينما هما على هذا الحال قدم أحد الأمراء من الجزر إلى المدينة يرغب بشراء عبيد وغلمان ، فطلبا من سيدهما التاجر أن يبيعهما للأمير، ويقبض ثمنهما فلعلهما يجدا أن الحياة أجمل وأحسن في تلك الجزر ، فوجد هذا الطلب قبولا واستحسانا لدى التاجر ، فقبله بسذاجة وجشع ، ونزل لسوق العبيد والجواري فباعهما للأمير على أنهما رقيق ، وقبض ثمنهما وانصرف غير مبال بهما .

فساقهم رجال الأمير مع من اشتروا من الرقيق ، وحملوهم إلى سفينة الأمير ، وفي الليل دخلوا بهم الجزيرة الأولى " جزيرة الضفدع " ، وهناك ألحق نمير في خدمة قصر الملك دوق بر ، وأما رجب فجاءت خدمته في إحدى قصور أميرات الجزيرة عمة الملك ، ورتبا أمرهما على التواصل أثناء الخدمة خارج القصر ، فيلتقيان في الأماكن العامة ، وقد تعجب رجب لصبر مولاه على هذه الأحوال والحياة حياة الخدم والعبيد ، وأن يعمل خادما عند الأمراء والتجار للوصول إلى ملك الجزائر الأعظم " جنـفل "، وهو الأمير الفارس ذو الخدم والحشم ..مع الأيام أصبح نمير من الخدم المقربين من الملك لذكائه وخفته وحركته والغاية التي يسعى اليها فصار يأخذه الملك معه في الحل والترحال .

وقد أتى يوم أن طلب الملك الكبير من الملك دوق بر أن يزوره .. ففرح نمير لهذه الزيارة ، وكان من الخدم المحظوظين فسمح له الملك بالرحيل معه ، ولما تجهزت سفينة الملك دوق بر انتقل إليها الملك ومعه بعض رجال الحاشية والخدم ، وبعد عشرة أيام في البحر وصلوا

للجزيرة الكبرى جزيرة تحت الملك للملك جنـفل ملك ملوك هذه الجزائر كلها ، السيد الأكبر لجزائر البحر، وكان كبار الأمراء والوزراء في استقبال الملك ، وساقوه إلى قصر استقبال الضيوف ، وفي الصباح التالي انطلق الوفد وخدمهم لمقابلة الملك الأعظم صاحب الديك الساحر ، وبعد المعانقة بين الملكين والترحيب وحسن الاستقبال تحدث الملك جنـفل أمام الملك دوق بر وحاشيته من أمراء وخدم قائلا : لقد قبضنا على شاب قدم من بلاد يقال لها المال والغال طامعا في الحصول على الديك الساحر..!!

ظهر الخوف على وجوه السامعين وتابع الملك جنـفل الكلام : وهو ـ أيها الملك ـ ابن ملك عظيم في البر سمعنا بعض أخباره يدعى دريد بن انهار ..واعترف الشاب بسبب إتيانه لهذه الجزائر،وأنه هو وأخواه يتنافسون على تاج تلك المملكة، فقد طلب منهم والدهم جلب ديكنا الساحر ، ومن أتى به قبل الآخرين فهو وريث ذلك الملك الكبير يا دوق بر ، فهو ملك عظيم مثلنا تماما ، وقد تمكنا من القبض على أحدهم ، ويبقى اثنان ، ولابد أنهم دخلوا الجزائر ساعين لتحقيق شهوة والدهم بسلب ديكنا العظيم حامي هذه الجزائر ، فشددوا الحراسة وعليكم باليقظة من جهتكم وانتبهوا للغادي والرائح ، وقد أوصيت الملوك الآخرين بالانتباه لصيد هؤلاء المتلصصين .. وأرى أن الأمر خطير والحذر مطلوب .

فأيد الجميع كلام الملك ووجوب الحيطة والحذر ، ثم قال الملك دوق بر : وما فعلتم مولاي الأعظم بالأسير ابن ذلك الملك ؟

فقال جنـفل بعظمة وكبر : فقد قذفناه في سجن المدينة ريثما نقبض على أخويه ، فإما أن يكونا قد دخلا الجزيرة واستقرا فيها أو هم في الطريق إليها ، ولسوف يغامران للوصول إلى هذه الجزيرة للحصول على ديكنا الأكبر الأفخموعندما نقبض عليهما نفكر بأمرهما ، أو يشير علينا ديكنا الأكبر الأفخم في شأنهما سنرسل جاسوسا لبلاد المال والغال ، ونرى ما الذي سيفعله ذاك الملك القوي عند ضياع أولاده وهلاكهم ؟! فهو كما قيل لنا يحكم خمس عشرة مملكة نحن لا نريد حروبا مع أهل البر رغم بعد بلادهم عنا .. ومن أسيرنا سنتعرف على أخويه .

الأمراء الثلاثة في الجزر

وبعد أيام عاد دوق بر لجزيرة الضفدع ، وهو مشغول الفكر في أبناء الملك دريد بن انهار وهذه المخاطرة الكبيرة ،وما الذي دفعه لإرسال أبنائه لهذه الجزر؟! .. لابد أنه مجنون يريد الموت لهم ، وقرر أن يرسل جاسوسا من طرفه لتلك البلاد يأتيه بأخبار الملك دريد وأبناء الملك دريد ، وبعد نظر وتدبر طويل أسر لخادمه سحنون بالرحيل لتلك البلاد، وكان ذلك بإيحاء من سحنون نفسه موهما إياه أنه يعلم لسان أهل البر لعيشه معهم قبل أن يأخذه صيادوا الرقيق عبدا ويبيعونه في الكمن ، وسحنون هذا هو نمير بن دريد ، ثم ودع نمير رجبا وسار لمدينة الكمن مع إحدى السفن ، ومنها مع أول قافلة بحرية مسافرة لمدينة الغندور ، لقد استأجر مكانا في إحدى السفن ، وبعد عام وصل الأمير لمدينة الغندور ، ومنها سافر لبلاده وزار قصره وأمراءه خفية لتنكره ، وتأكد من رحيل أخويه لتلك الجزر ، وقد علم بسقوط أحدهم في أسر الملك جنـفل كما تحدث الملك جنفل بذلك أمام الملك دوق بر ، وأما الآخر فلا أخبار عنه ، وقد علم أن والده قد هلك وناب عنه شميس أخوهم الأكبر حتى يعود أحدهم بالمطلوب، وعلم أيضا أن زوجته قد أنجبت أثناء غيابه ولدا وما زالت في قصر أبيها ، وطلب من الأمراء والاعوان إخفاء أمر زيارته لخطورة الأمر، وبعد أشهر من الزمان قضاها متنكرا في بلاده سافر لمدينة الغندور، ومنها إلى مدينة الكمن ، وبعد سنة وشهور كادوا يهلكون فيها في البحر وصلوا إليها، وذهب لوالي المدينة فنقله بقارب خاص إلى الملك دوق بر ، فلما استراح من سفره دخل على الملك وقص عليه أخبار الملك دريد وقصته مع أبنائه الثلاثة وسبب مجيئهم لهذه الجزائر، فقص عليه قصة قتل الأسد والثعبان والملك الظالم ، ومن ثم طلبه لديك جزائر البحر ، وأنهم خرجوا من سنوات لجلب الديك الساحر ، ولم يعودوا لبلادهم ، بل انقطعت أخبارهم عن أهليهم ، وأخبره بموت الملك دريد ، ويقوم بولاية الملك الابن الأكبر لدريد الأمير شميس حتى يرجع أحد الأبناء الثلاثة بالديك .. ففرح الملك لهذه الأخبار وهذه الحكاية ، ونقلها لملك جزائر البحر برسالة طويلة ، وعلى أثر قرائتها طلب الملك الأكبر مقابلة

الجاسوس سحنون ، فبعثه الملك دوق بر لمقابلة ملك الجزائر السبع ، فدخل على الملك جنفل ، وروى له قصة الملك دريد وأبنائه المتنافسين على العرش الأكبر لتلك المملكة الكبيرة في البر، فاستمع ملك الجزائر لرحلة سحنون بطرب ، وأعجب بذكائه ونشاطه ، فطلب من ملك جزيرة الضفدع أن يتخلى عنه ويهديه إياه ويلحقه بخدمه ، ففرح سحنون بذلك وانتقل للحياة مع خدم الملك الأكبر ، وأعجب شيء اكتشفه الأمير نمير في قصر الملك الكبير أن أخاه جرادي يعمل في قصر الملكة في حدائقها الخاصة مع كبير البستانيين، فقد شاهده في إحدى سهرات الملك والملكة في الحدائق الفاتنة ، ولا يدري عندما شاهده هل عرفه جرادي كما هو عرفه أم لا ؟! ومما عجب له أكثر فأكثر أن اكتشف أن أخاه الآخر سبع الغاب يخدم مع طهاة القصر ، فتسأل سحنون " من هو المسجون من اخوته في سجن الجزيرة كما تحدث الملك الكبير للملك دوق بر من سنوات مضت ؟! " هذا كله أثار العجب في نفسه ، وتيقن أن اخوته جادون مثله للوصول لديك الملك ورغب وتمنى أن يعرف كيف وصلوا إلى هنا قبله ؟ وتمنى الجلوس معهم ، ولكن الأمر صعب وشاق وخطر .

وتبين للأمير نمير أن الملك يضع ديكه الساحر في قصر خاص لا يدخله أحد سواه وسوى المسؤول عن طعام الديك الذي لا يخرج من القصر بل ينام ويأكل فيه ، فيحضر له أعوانه طعامه وطعام الديك ، فيقوم بواجبه تحت حراسة ألف جندي يحيطون بالقصر لا يسمحون لأحد بدخول قصر الديك إلا لصاحب الطعام وحده .

لا يسمح لأحد بالدخول على الديك من الملكات والملوك والأمراء والأبناء إلا من أذن له الملك وبصحبته أيضا ، فيدخل فيرى الديك على كرسي من الذهب الإبريز ، فتيقن لنمير أن الوصول للديك أمر صعب إن لم يكن محالا .. وأمر يحتاج لسنوات وسنوات ، فتعجب عن معرفة أبيه لهذا الديك لصعوبة هذا الأمر وتحديهم به ؛ ولكنه صمم أن لن يضعف ، ولسوف يحتال حتى يرى هذا الديك المقدس والمحروس بكل هذه الشدة والحذر والجند ، أما كيف فهذا تركه للأيام والزمان ؟!

علم سحنون أن ساحر البحر قادم لزيارة ملك جزائر البحر ، فخرج الملك الأكبر بنفسه لاستقبال الساحر مع كبار الحاشية والسحرة ، وكان سحنون ضمن الخدم الذي ساروا مع جنـفل ، فقد أصبح خادم الملك الأول ، فهو المشرف على طعامه وشرابه ومقابلاته ، وصل لذلك لصغر سنه وذكائه وسرعته وفهمه على الملك حتى ملك عليه حواسه ولمسيره إلى بلاد الملك دريد ونقل احوالها وأخبارها ، قبل الملك جنـفل قدمي الساحر ورحب به ، وكان بين يديه ذليلا مما أدخل الاستغراب في قلب نمير، فهو أمام ملوك الجزر الأخرى كالأسد المتوحش ، والطاووس المزهو بألوانه وريشه ، وها هو أمام الساحر كالكلب الذليل ، صورتان مثيرتان للدهشة والسؤال ، سار الملك وحاشيته بين يدي الساحر حتى وصل لقصر خاص أعد له أو قصر مخصوص له ، فلما وصلوا القصر دخل ساحر البحر الرهيب المنظر إلى القصر ، وانصرف الملك الأكبر إلى ديوانه ؛ ليطلع على أخبار المملكة وأسرارها حتى الليل ، وعندئذ ذهب بحاشية من الأمراء وخدمهم إلى زيارة قصر الساحر ومسامرته ، فاستقبلهم الساحر ساحر البحر ، وبعد انتهاء المسامرة قال الملك : أيها الساحر الجليل !.. لقد أرسلت وراء ملوك الجزائر السبعة ليتشرفوا برؤيتك وسماع نصائحك الكريمة .

فتنحنح الساحر وقال : حسنا فعلت.. واعلم أيها الملك أني راغب في زيارة الديك يا ملك جزائر البحر .. فلي مدة طويلة لم احظ برؤيته .. شغلني المرض عنه .

فقال الملك : متى تشاء أيها الساحر الكبير ؟! .. أيناسبكم صباح الغد ؟

فطمع نمير خادم الملك بأن يحظى بمثل هذه الرؤية والمقابلة ، فما صدق أن انبلج الفجر ، وخرج الساحر الكبير من قصره بصحبة الملك لمقابلة الديك الساحر الذي كان صوته يملأ المكان مظهرا الفرح في ذلك الصباح بصياحه العالي؛ كأنه يرحب بالساحر الكبير .. وتقدم الملك إلى قصر الديك بين يدي الساحر ، ولقد كان صاحب الطعام في انتظارهما ، ولم يؤذن لأحد بالدخول معهما ، وتقدمهما صاحب الطعام بلباسه المميز ، وهو يحمل بين يديه طعاما من أجود أنواع الحبوب والحب للديك على صينية من ذهب ملون ، ولما اقتربوا من الديك

المنتصب فوق كرسي من الذهب ، قبله الملك جنـفل بعد أن لزم الديك الصمت ، وفعل مثله الساحر ، وقلدهما صاحب الطعام ، ثم وضع المائدة المصنوعة من الجواهر النادرة وعليها وعاء الحب والماء وابتعد إلى طرف المكان ، وتكلم الساحر مع الديك بحضرة الملك ، ومكثا زمنا عنده ثم خرجا ، وبعد قليل لحق بهما صاحب الطعام ، وهو مستغرب من غضب الديك بعد مقابلته لساحر البحر في هذا الصباح المشرق الجميل ، وسمع سحنون الساحر وهو يقول للملك : الديك يقول إن في مملكة السلطان أعداء يسعون لهلاكه ! ويقول إنكم مسكتم أحدهم وما زلتم تبحثون عن الآخرين .. ما الأمر يا ملك الجزائر العظام ؟!

فقص الملك جنـفل على مسامع الساحر قصة الملك دريد وأبنائه الثلاثة ، وبين له كيف قبضوا على أحدهم ، وله سنوات يقبع في سجن الجزيرة ، وكيف نصبوا كمائن للأخوين الآخرين ؟! بل أرسلوا جاسوسا إلى بلاد المال والغال ، ولما تحدث الملك عن سحنون خادم دوق بر سابقا ، نظر ساحر البحر إلى الخادم سحنون بعمق وإعجاب ، مما أثار القلق في نفس سحنون ، ثم رآه يبتسم له ويبارك شجاعته ، ثم طلب من الملك أن يجعله في خدمته ؛ ليسمع الحكاية منه ويسمع أخبار تلك البلاد البعيدة في البر ، فأصدر الملك الأمر لخادمه سحنون بخدمة الساحر بكل جد وعزم ، فأظهر سحنون امتنانه لرضا ساحر البحر عنه ، وتقدم وقبل يد الساحر وهو يتظاهر بالخوف والوجل والرهبة ، فربت الساحر على ظهره ، وأخذه معه إلى قصره ، وهناك روى نمير قصة سفره لبلاد المال والغال ، وكيف عرف قصة الملك دريد وأبنائه العشرة ؟ وذلك عندما كلفه سيده دوق بر بالسفر لتلك البلاد ومعرفة قصة أبناء الملك وسبب مجيئهم للجزيرة ، وكيف وقع أحدهم في قبضة الملك جنـفل ؟ واختفى أثر أخويه الآخرين ، ولهم أكثر من خمس سنوات ولم يجدوا لهم خبرا ولا أثرا ، فلما انتهى سحنون من القص قال ساحر البحر : أنت خادم نشيط ! .. وذكي ومخلص يا بني ! .. لابد من رؤية هذا السجين يا سحنون ونسمع منه ونعرف مصير اخوته .. فكما قلت له خمس سنوات في السجن ، ولم يقبض على أخويه بعد ، ولا ندري هل وصلا الجزائر مثله أم لا ؟!.. فاذهب لمولاك الملك

واذكر له رغبتي في رؤية السجين والكلام معه .. أسرع يا ولدي وأخبره بهذه الرغبة .

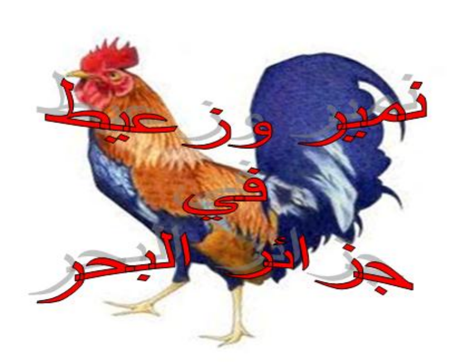
أسرع سحنون وأخبر الملك برغبة الساحر الذي أمر بدوره قائد الحرس بجلب السجين فورا ولما مثل السجين أمام الساحر ؛ فإذا هو رجل هزيل أصفر الوجه كالأموات فسأله الساحر عن أمره ، فقال بضعف : إنه ابن دريد الملك لبلاد المال والغال وقص قصة مجيئه لهذه البلاد كما رواها سحنون ، وبين له أنه جرادي وأن اسم أخويه سبع الغاب ونمير ، وذكر أنه ترك ملكه طمعا في تاج المملكة الكبير ، وأتى إلى هذه البلاد كتاجر ، ثم تسلل بقارب إلى هذه الجزيرة على أمل الوصول للديك الساحر ، وأخذه قبل أخويه ؛ ليفوز بالملك ملك الملك دريد الذي يحكم جزائر البر ، وأثناء إقامته بالجزيرة تعرف على بستاني يعمل في الحدائق والبساتين ، فقص عليه قصته على أمل مساعدته ، فوشى به هذا الرجل للملك الكبير فرموه بالسجن ، وطلب من الساحر وترجاه أن يعفو عنه ، وأن يعيده لمملكته ، ووعده بأنه لن يعود للجزيرة ثانية ، وأنه نادم على أعماله ، وقال : هذه قصتي أيها الساحر الكبير ! فأطلب منك العفو ، وأعدك أنني لن أعود لهذه البلاد ثانية ، وإذا لقيت أخواي نميرا وسبع الغاب سأثنيهما عن المغامرة إلى هنا .. ولا أعتقد يا ساحر البحر بمجيئهما هذه الجزر بعد كل هذه السنوات ، والأمر غير ميسور لتحقيق المطلب الغريب لأبي الملك دريد الذي أظنه قد فارق الحياة ، فلما خرجنا متفرقين كان على وشك الموت ، فكان مطلبه أيها الساحر ؛ كأنه يريد التخلص منا عندما أرسلنا إلى هنا ، لا أن يهبنا التاج ..

فقال الساحر بعظمة وكبر: نعم قد هلك أبوك دريد بعد خروجكم من بلادكم بشهور! وتولى الحكم الابن الأكبر شميس على أمل نجاحكم فيما ورطكم فيه أبوكم .. ستبقى في السجن حتى نعرف مصير أخويك ، ثم نفكر بأمركم .

وأمر الساحر بعودة السجين للسجن ، وقد سر من سحنون ، فقد تأكد لديه أنه خادم نشيط ، ويعتمد عليه في المخابرات والمراسلات ، ولما خرجوا بالسجين من قدام الساحر الأكبر ، قال الساحر : ولكن الديك خائف ! وأخبرني أن أعداءه ما زالوا في الجزائر أحياء يرزقون ! فنحن

بحيرة من أمرنا ، فالبحث عنهم ليس هينا في كل هذه الجزائر مع مرور هذه السنين ، فآلاف الغرباء يدخلون البلاد من تجار وصيادين وبحارة ومغامرين ..وهذا الرجل ما وقع لولا الوشاية ، والوصول للديك أمر عسير ، فحوله ألف رجل يحرسونه لا ينامون ليل نهار ؛ ولكن عقول الإنس مرعبة فلا يعدمون حيلة فيصلون إليه ..ومن كلام سحنون وكلام هذا الأسير يريدونه حيا ، وهذا ما يضعف مهمتهم ؛ ولكن قد يقتلونه ويأخذونه جثة .. أنا أحس بقلق غامض في كياني المريض .. لا أدري يا سحنون ما مصدره ! وما أدري الذي يدفعني لمصارحتك بهمسات داخلي أيها الخادم .. ؛ ولكني لمست فيك الفطنة وحسن الخدمة والعمل في طاعة مخدومك .. لقد فارقت الجزيرة بمهمة طويلة كان بإمكانك الهرب والبقاء في ذلك البر .. فتشجعت وتكلمت أمامك بخوفي وقلقي .

فأخذ سحنون يقبل قدمي الساحر على هذه الثقة التي اولاه اياها ساحر الجزائر السبع ، وقد بكى بين يديه متظاهرا من جديد بالإخلاص والامتنان لثقة ساحر البحر به ، مما أدخل بعض الطمأنينة على قلب الساحر ، فإن الوصول للديك بالأذى والشر ليس أمرا ميسورا أمام هذا الكم الهائل من الحرس والاحتياطات ومن نشر العيون والإخباريين بين الناس وأماكن تواجد الغرباء ، فأثنى الساحر على الخادم سحنون وصرفه ؛ ليفكر في شكوى الديك والخاطر الداهم



استقبل الساحر ملوك الجزائر الوافدين لرؤيته ونيل بركاته ، ومكث في الجزيرة الكبرى بضعة شهور ، وهو السيد المطاع والآمر الناهي ، ثم ودع الديك وطمأنه وأنه في مأمن وحوله ألف حارس في نوبة حراسة دائمة ، وهم من فرسان الملك المعتبرين ، وقبل أن يغادر ساحر البحر

الجزيرة الكبرى عائدا إلى الجبل الذي يسكن فيه في أعلى جبل الجزر عرض على سحنون أن يعلمه السحر ، ويجعله من تلاميذه لم لمسه فيه من ذكاء وفطنة ، وأظهر سحنون السعادة والفرح للفكرة ، وترك أمره لسيده الملك جنـفل الذي تخلى عنه سريعا لرغبة مولاه ساحر البحر ، فوهبه خادما وتلميذا له ، وانتقل سحنون مع الساحر إلى مسكنه في الجبل جبل سمعان ، وقبل وصوله لكهف الساحر خرج رجال يلبسون الملابس السوداء ، ولا ترى إلا عيونهم لاستقبال الساحر الكبير ، ولما التقوا ارتموا عليه يلتمسون بركاته ورضاه ودعائه ، وبعضهم يقبل يديه ورجليه فالتفت الساحر لخادمه الجديد فقال : هؤلاء تلاميذي ، فمنهم من له عندي منذ خمسين سنة ، ومنهم من له ثلاثون سنة ، ومنهم عشر .

الكهف كهف السحرة ، بيوت منحوتة في الصخر ، وفي صفحة الجبل حجرات صغيرة وكبيرة ، سار الساحر وخلفه الاتباع والتلاميذ على سلم منحوت من الصخور حتى دخلوا الكهف المفروش بالسجاد والحرير ، ومعلق في جوانبه على أعمدة صغيرة من الرخام الفوانيس الصغيرة والكبيرة ، وهناك طاقات أو حفر منحوتة في الجدران للمشاعل والشموع ، قل قصر داخل الكهف ، فلما دخل الساحر حجرته في تلك المغارة الكبيرة الواسعة أخذ التلاميذ سحنونا الخادم الجديد للساحر، فادخلوه إلى مكان الاستحمام ، فحمموه وجملوه وألبسوه ثوبا فضفاضا أخضر ، وعرفوه على المكان حيث غرف الطعام والمنام ، وذكروا له آداب التعامل مع الساحر ومعهم وواجباته والغاية من جلبه إلى كهف السحرة ، وما قضى نمير عاما بصحبتهم حتى أصبح موضع سر ساحر البحر ، واندفع يلتقط علومهم بقوة وثقة حتى شعر أن التلاميذ الآخرين يحسدونه على تقدمه عليهم بهذه السرعة الغريبة ، وعلى حظوته لدى الساحر ، وفي كل يوم يكتشف نمير سرا من أسرارهم ، ويتضح له أمرا غامضا خفيا من أمورهم ، مضى عام آخر وسحنون يتقدم حظوة عند الساحر ، ويخدمه بإخلاص وتفان ؛ كأنه نسي ملكه والغاية من وجوده في هذه الجزائر ، وكان طامحا بكشف سر الديك الغريب وسبب تعظيم الساحر والملوك له ، ولاحظ سحنون أن للساحر حجرة داخل الحجرة

لا يسمح لأحد مهما كان مقربا أن يدخلها ، فقد حاول سحنون كشف سرها بذكاء وبدون أن يشعر به أحد ، فلم يتمكن من ذلك فغض الطرف عن هذه الرغبة وترك ذلك للأيام ، وذات ليلة استيقظ في آخر الليل فزعا ، فقد سمع ضجة في المغارة الكبيرة ، فترك حجرته فإذا التلاميذ يخرجون من جحورهم ، ويتجمعون أمام حجرة الساحر ، وأشعلت المشاعل في الكهف ، فهرع مثلهم إلى غرفة الساحر الذي كان يجلس في غرفته وعيناه محمرتان ، والزبد يخرج من شدقيه ، والغضب مرسوم بوجهه ، وبين يديه رجل من رجال الملك جنـفل ، فلما اكتمل التلاميذ ، ولم ينبس أحد منهم بهمسة ، فهم ينتظرون نطق الساحر بكلام ، فنهض قائما ووقف أمام باب الحجرة ، فقال بغضب حاد واضح في نبرات صوته: أيها التلاميذ الأعزاء !.. أيها السحرة في هذه الجزائر! .. جاءتني الليلة رسالة من ملك ملوك الجزائر السبعة الملك جنـفل ..

وسكت حتى التقط أنفاسه ثم قال : أيها السحرة !.. هناك رجال يتآمرون علينا في هذه الجزيرة فديك الجزيرة .. تعرض للقتل أيها السحرة !.. لقد دسوا له السم . فردد الكهف صدى أصوات السحرة : السم .. السم .. !!

فعاد الساحر يصرخ : نعم السم ! .. وضعوا له سما ؛ ولكنه لم يمت ؛ ولكنه مريض .. وهو بحاجة لعلاج .. فسيذهب جماعة منكم لمداواته .. وإن عجزتم فابعثوا لنا .. فاختاروا سبعة مهرة من بينكم للقيام بهذه المهمة العظيمة .

وذهب سبعة منهم مع رسول الملك جنـفل لعلاج الديك الساحر المسموم ، فبعدما عاد السحرة لحجراتهم يدعون بشفاء الديك ، جلس سحنون الخادم بين يدي الساحر والحزن والتأثر على وجهه ثم قال برقة ودموع : مولاي الساحر ! .. كيف اجترؤا للوصول لديكنا العظيم ؟!

فتنحنح الساحر بضع مرات وسعل عدة مرات ثم قال : اعلم يا ولدي ! أن أحد طهاة الملك شارك في العملة المشؤومة ..علمت أن صاحب الطعام المختص بالديك الساحر مرض مرضا

شديدا اسكنه الفراش ، فاختاروا طاهيا آخر من طهاة الملك للقيام بالواجب حتى يتعافى خادمه من مرضه .. فقام هذا الطاهي المجرم اللعين بعد حين بوضع السم للديك .. الذي اكتشف الأمر بعد أن أكل نصف الطعام، فشعر بطعم غريب في جوفه ، فصرخ صراخا مرعبا ، ففزع الحرس وأتى الملك .. فقبضوا على الطاهي المجرم فإذا هو ابن الملك دريد الذي حدثتني عنه آنفا .. فقد أتى ذاك المجرم الجزائر متنكرا منذ سنوات حتى استطاع أن يعمل طاهيا في قصر الملك .. فله أكثر من سبع سنوات يدبر لهذه المكيدة حتى أتته الفرصة .. ألم أقل لك أن بني آدم لا يعجزون عن حيلة لتحقيق غاياتهم ؟ .. سبع سنوات وهو مجرد طباخ ، إنه ماكر ! .. لقد بقي عدو واحد من الثلاثة ولسوف يقع !.. والويل لهذا الأمير إن هلك هذا الديك ! .. فالديك يا سحنون هو الملك الحقيقي لهذه الجزائر كلها .. هذا سر أول مرة انطق به فاحذر أن تفوه به لأحد .. أعرف أن الدهشة قد أصابتك لما تسمع .. الأسرار كثيرة يا ولدي في هذه الجزائر .. نعم الديك هو الملك الحقيقي للجزيرة يا سحنون الأمين !.. وسأفصل لك هذا السر يوما ما .. فاصبر وكن كعهدي بك .. بعد أيام سأرسلك للجزيرة لتنظر في الأمر العظيم ، وتقابل الملك وتسمع منه ، وتقابل الديك .. وذلك بعدما يعود السحرة من علاج الديك ، فأنا سني لم تعد تساعدني على الحركة .

وظل سحنون بين يدي الساحر حتى الفجر ثم عاد لحجرته ، وهو يفكر بما أصاب أخاه سبع الغاب بعدما حاول اغتيال الديك الساحر ، وأخشى ما يخشاه أن يقتلوه قبل أن يساعده في النجاة .. بعد شهر رجع السحرة وابلغوا الساحر أنهم عالجوا الديك ، وبدأ يستعيد ويسترد عافيته ، وهو يدعو لك ويتمنى رؤياك في أقرب وقت ، ففرح الساحر لسماع هذا الكلام ، وأرسل خادمه الخاص سحنون إلى الجزيرة الكبرى لمقابلة الملك والديك وسبع الغاب بن دريد .. فرحب الملك بخادمه السابق وسر للحظوة التي وصل إليها عند ساحر البحر واسمعه قصة الجريمة .. وذهبا سوية إلى زيارة الديك ، وكانت هذه أول مرة يرى فيها سحنون الديك فوجده متأثرا من السم ، فيه هزل وصوته مهزوز ، فقبله وتمنى له العافية ،

ونقل إليه تحيات الساحر وسلامه وتهنئته له بالعافية والنجاة من الموت ، واجتمع سحنون بصاحب الطعام المريض ، وعرف أنه تعرض للسم هو الآخر، وأن الطاهي " شبرة " أسقاه سائلا منهكا للقوى ومسببا للغيبوبة حتى يصل للديك ، ووصل فعلا ودس له السم ، وقد نجا الديك من موت محقق ، ولولا القدرة الإلهية لهلك ، ، وذهب سحنون لسبع الغاب ، فسأله بعدما دار بينهما الحديث لماذا أردت قتله وأنت تريده حيا ؟!.

فتبسم سبع الغاب وقد عرف أخاه وقال : طال الانتظار ومللت ! ولم أعد اصبر فقررت التخلص منه حتى لا يكسب أحدنا الرهان والتاج..ففكرت في تخديره وسرقته؛ ولكن كان ذلك مستحيلا ، وكيف الخروج به من هذه الجزائر البعيدة عن بلادنا ؟ .. وهل أنت مرتاح عند ساحر البحر ؟!

فرد سحنون بحلم قائلا : سوف أصل للديك يوما ما ، وإن مكثت ألف عام .. إلى اللقاء .. سأفعل ما بوسعي حتى لا يقتلوك ، ولسوف أزورك ثانية لأعرف كيف وصلت إلى هنا أيها الصعلوك ؟! إلى اللقاء ، وربما ساعدتك في الهرب من هذه الجزائر .

عاد سحنون لكهف ساحر البحر وطمأنه على الديك ، وعلى صاحب الطعام وقص عليه تفاصيل المؤامرة ، وقد طلب من الملك زيادة الحيطة والحذر من الأشخاص الذين يتعاملون مع الديك ، وعرض الطعام وتقديمه على عدد من الطيور قبل أن يقدم للديك .

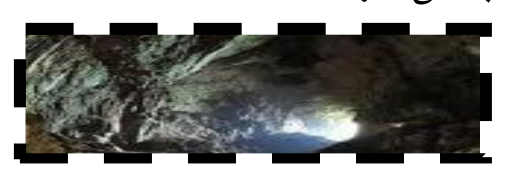


الديك الساحر

الغزاة

ولم تمض شهور يسيرة على هذه الحادثة حتى عصفت على الجزيرة عاصفة كبرى ، اهتزت لها كل أطراف جزائر البحر ، فهم منذ عقود طويلة لم يروا مثلها فقد حوصرت الجزيرة الكبرى من قبل جيش ضخم من الغزاة بزعامة القائد " نمرال " من زعماء قبائل البرابرة وبمساعدة ملكين من ملوك الجزائر السبعة ، فقد زحف الغزاة والمتآمرون إلى الجزيرة الكبرى ، وهاجموها من كل الجهات ، وأشعلوا فيها النيران ، وفتكوا بالناس على حين غرة ، وزحفوا إلى قصر الملك جنـفل وأسروه ، وفتكوا بحراس الديك ، واقتحموا قصره ؛ ولكنهم لم يجدوه ، فقد طار واختفى عن ظهر القصر ، ووقعت مذبحة رهيبة في الجزيرة الكبرى دامت بضعة أيام قبل أن يعود الغزاة للبحر بأسراهم من السادات والأمراء والقادة ، ولما وصلت هذه الأخبار لساحر البحر صعق لهول ما يسمع ، واجتمع بأعوانه وتلاميذه ، ونقل إليهم قصة الفاجعة الكبرى ، فاضطرب الكهف رأسا على عقب لهول ما دخل آذانهم من أخطار وأخبار، وقد صمم الساحر الكبير على الانتقام وتحرير الملك جنـفل الذي أخذ على حين غرة، ولما هدأت العاصفة في الكهف السحري تساءل سحنون المدهوش والمصعوق لهذه المفاجأة التي لم يتخيلها في هذه الجزائر ، فقد ظن الناس على قلب رجل واحد ، لا أحقاد في قلوبهم على بعض ؛ ولكن أخبار الفظائع التي كانت ترد للكهف تثير الفزع والعجب ، فتساءل أمامهم عن سبب هذا الحقد الكبير على الجزيرة الكبرى، عن سبب الحرب والدمار الفظيع ، فلم يجد جوابا عند أحد من رجال ساحر البحر القدماء ، فتجرأ وسأل سيده وأستاذه عن هذا الأمر ، فتحدث الساحر العجوز وقال : اعلم يا ولدي ! أن الملك جنـفلا قد تسلطن على هذه الجزر بالقوة والعنف الذي سمعت بمثله من " نمرال البربري " ، فلما مات والد الملك جنـفل منذ أكثر من أربعين سنة بويع جنـفل الصغير بالملك ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره بعد ، فقام عليه بعض أعمامه وخلعوه ، فقام جماعة من أنصار والده بإخفائه ، ثم أتوا به إلى هذا الكهف سرا والذي لا يعرفه إلا تلاميذي السحرة ، فعاش بيننا من غير أن يعرف مكانه ،

ولعلاقتي الطيبة مع أبيه قررت مساعدته ومعاونته ، وبدأت اتصالاتنا مع الأعوان والأنصار حتى عاد لتخت ملكه بعد سنوات ، فقام بالفتك بكل خصومه ، واستقر له الملك في النهاية ، وقد أسس جيشا قويا ذا سطوة وهيبة ، ثم بدأت مشاكله مع رجال الجزائر السبع المحيطين به فخاض معهم معارك وحروب قوية تشيب لها الولدان استمرت عشر سنوات حتى تمرد عليه جيشه وكثير من أنصاره ، فلجأ إلينا ثانية فأيدناه بالديك الساحر على شروط اتفقنا عليها ، فعادت وخضعت له الجزيرة الكبرى والجزر السبعة الأخرى بالقوة والنار، فهو يحكم هذه الجزائر والديك يحكمه ، فهو يحكم ملوك لا يحبونه بل يكرهونه ، وإنما يخشون قوته وقوة الديك المرعب .. وهو مع ذلك لا يرحمهم بل يهينهم ويفتك بكل من يشك في ولائه ، ويولي غيره إذا غضب عليه ..إلى أن كان ذات يوم وفتك ابن أحد الملوك ملوك الجزائر بابن ملك آخر ، ونشبت فتنة بين الجزيرتين استمرت شهور وأيام حتى تمكن جنـفل من إخمادها وتحسين الوضع بينهم قليلا .. الحكم ـ يا سحنون ـ لناس يبغضونك أمر صعب ؛ فإذا رأى الضحية لحظة ضعف من الجلاد غدر به ، وما هذه السنون التي مرت هادئة إلا السكون الذي يسبق العاصفة كما يقال .. فقد جاءت عاصفة لا تذر ولا تبق شيئا .. لقد تآمر ملكان من ملوك الجزائر مع القائد البربري نمرال ، وقد يكون هناك تواطؤ من بعض جنود الملك الحاقدين الناقمين من تلك العقود التي مضت حتى استقر حكم الجزائر وخضوعها للملك الأكبر ، وغدروا هذه الأيام بأهل الجزيرة ؛ ولكني سأنتقم منهم أشد الانتقام ما دام فيّ نفس يتحرك ، والآن يا سحنون المخلص وكاتم سري أريد أن أرى المواهب والفطنة اللذين جذباني إليك وقربتك اليّ بهذه السرعة ، هاتان الميزتان أريد أن أراهما للفتك بهؤلاء الجبناء سندمر جزائر البحر السبعة على أهلها ..



كهف السحرة

فلما سكت الساحر بعد هذا الكلام الشديد على الأعصاب والنفس همس سحنون قائلا : أيها الساحر الكبير .. وما جرى لصاحبنا الديك ؟ ولماذا لم يدافع بقوته عن الملك جنفل ؟

وتفاجأ سحنون بالساحر الغاضب يقبض على عنقه ويشده وهو يقول : أيها الشاب عليك بالعمل ولا تكثر من السؤال .

فتظاهر سحنون بالندم والأسف وهو يردد : عفوك مولاي الساحر! لابد أنني أخطأت ؛ ولكني لم أسمع عن صاحبنا الديك في هذه المعممة الكبيرة إلا أنه هرب واختفى ، وأنا تحت أمرك أيها الساحر الكبير !

فأرخى الساحر قبضته عن عنق خادمه ، وهو يظن أنه كاد أن يخنقه وأشعره الأمير بذلك ، فهو يعرف ما يعتمل بداخل الساحر من غضب وحقد وبركان، فجنفل يحكم الجزر ، والديك يحكم جنفل ، والساحر يحكم الديك ، ترك الساحر سحنونا وهو يقول بحدة : انصرف أيها الشاب ، واستعد للموت سأقذف بك إلى لهيب المعركة إن كنت تطمع بأن تكون خليفتي وتلميذي الأوحد ، عليك الآن تثبت لي أنك أهل للمغامرة والجرأة والشجاعة .

قال سحنون بعمق ونشوة في داخله :أعدك أن أكون تحت حسن الظن ، سوف ترى يا مولاي الساحر بأم عينيك طاعتي في خدمتك والإخلاص لك .

أتت الأخبار بتدمير الجزيرة الكبرى ، وخروج جيش نمرال والمتآمرون معه من الجزيرة بعدما حملوا معهم كنوز وثروات الجزيرة ، وتحركوا لغزو باقي الجزر وإخضاعها لحكمهم ، وقد سيق جنـفل والأمراء الأسرى في سفينة الأسرى ، وهم أذلة بعد أن كانوا أعزة وساده يرغدون في النعيم واللهو والمجون لا تسعهم الأرض من الجبروت والطغيان ..

استأذن سحنون ساحر البحر لزيارة الجزيرة المدمرة ؛ ليرى ما حل بها ، وما جرى لمن ظل حيا من سكانها ، فأذن له الساحر ، وسافر الفا رس للجزيرة ، فلما وصلها كاد ينكرها من هول ما أصابها من الدمار والحرق، فكثير من قصورها محروقة ومهدمة، وحال الأحياء يرثى له ، يلملمون جراحاتهم ويسعفون جرحاهم ، وسار للسجن ، فلم يجد فيه أحدا ، فعلم أن من

كان فيه قد هربوا وخرجوا يوم المذابح المرعبة .

وبحث عن أخيه جرادي في قصر الملكة ، فعلم أن الملكة وجواريها وخدمها وبناتها وكثيرا من الأميرات وقعن أسرى سبايا بأيدي الغزاة ، ووزعن على القادة والفرسان ، فعاد لقصر الملك فوجده أطلالا ، ووجد الجثث في ردهاته وحجراته ، وسار لقصر الديك الساحر ، فوجده هو الآخر محروقا حرقا تاما جدرانه سوداء .. فعجب سحنون لحال الدنيا ! وهذه القصور العامرة منذ أيام بأهلها ولهوهم وفرحهم ومتعهم ، فقد أصبحوا رمادا ووقودا للنيران ، وعجب لقسوة اؤلئك الغزاة ووحيشتهم وحقدهم على بني الإنسان ، وعادت به الذكريات إلى بلاد المال والغال ، وتذكر أباه وما كان يفعل في المدن التي كان يقاتلها ويعاديها ، ولقد كانوا يفعلون بالناس والمدن كما فعل هؤلاء البرابرة الغزاة ، ولما تفقد حال الجزيرة المنكوبة عاد للجبل ، وهو حزين مهموم لجهل بني الإنسان ، وولعه وعطشه للفتك والسيطرة على الآخرين ، وبينما هو يسير نحو الجبل جبل السحرة ليلا سمع صوتا فأصاخ سمعه، ثم تحرك نحو الصوت بخفة وهدوء واستمع لم يقولون .. كان هناك رجلان مقنعان يتحدثان بصوت مسموع ؛ ولكنه منخفض ، وكان حديثهم يدور حول الساحر، وقد سمع اسمه يتردد بينهم ، فركز سمعه فأدرك أن أحدهم من رجال الساحر من سحرة الكهف ، وأن الآخر من طرف الغزاة ، فشعر بأن هناك مؤامرة تدبر للكهف، وأن حياته أصبحت في خطر .. وأنهم يخططون لاقتحام الكهف كهف السحرة على حين غرة من أهله ، وبالتعاون مع هذا الخائن اللعين ، وربما معه آخرون .. وعلم منهم أنهم يبحثون عن الديك الهارب ، وأنه مختبئ عند الساحر في الحجرة السرية .. فانكشف السر لسحنون ، فأدرك أن علاقة ساحر البحر بالديك علاقة قوية وغريبة ، ودارت في رأسه أفكار وذكريات مع كلمات كان قد سمعها هنا وهناك خلال وجوده في الكهف ، لقد كشف الرجل الخائن لرجل الغزاة أشياء كثيرة ، فأدرك سحنون أن المؤامرة كبيرة ومحكمة على الجزيرة وجبل الساحر، وبعد ساعات من الحديث صعد الجاسوس للكهف ، والآخر هبط نحو الماء، ولم يتمكن الفارس من معرفة أشخاصهما جيدا ، وتساءل

" من هو الخائن في هذا الكهف ؟ ! وهل هو وحده أم معه شركاء ؟ وهذا الذي يسير إلى البحر من هو ؟ .. كيف سأعرفه .. سأتبعه ؟

ولحقه بخفة وحذر ، ولما اقترب المطارد من الشاطئ جلس على صخرة ، وبعد قليل اقترب منه مركب صغير فصعد إليه وسار في وسط الماء مبتعدا عن شاطئ جبل السحرة ، وفشل سحنون في معرفته ، فعاد مسرعا إلى الجبل ، وبينما هو يركض لعله يدرك الجاسوس أو عين الغزاة تدحرج فسقط على الأرض ، فنهض مسرعا وخفف من سيره وقال : سأقضي هذه الليلة هنا في كهف صغير .. وفي الصباح أدخل الكهف حتى لا يقع الشك والريبة في قلب الخائن .

وفي أول مغارة صادفته دخل ليقضى ما بقي من الليل ، ثم يصعد للكهف مع ضحى النهار ، وقبل أن يرقد وينام تفقد المغارة ليتأكد من خلوها من الوحوش والأفاعي .. فوجد حفرة في أقصاها فنظر حوله لعله يرى حيوانا قد حفرها .. ثم دخل فيها .. فوجد نفسه يهبط إلى نفق فمشى فيه بحذر يتحسس الجدران بيديه حتى ألف شدة الظلام ، فسار وسار أكثر من ساعة فإذا هو في غرفة واسعة كانت في نهاية النفق ،فأدرك أنه ما زال جاهلا لأسرار هذا الجبل العجيب .. كان المكان خاليا من الأصوات ، ثم تبين له أن لهذه الغرفة الكبيرة أبوابا من جهات متعددة ، وبينما هو يتفحص المكان ويتأمل في هذه العجائب من حوله سمع صوتا قادما نحو الحجرة هذه .. فأخفى نفسه في زاوية من الزوايا .. دخل رجلان يحملان مصباحين فعلقوهما على الجدران ، وفتحوا بابا من أحد الجدران وغابوا بضع دقائق ، وعادوا يحملون مقاعد من خشب ناعم .. سبعة مقاعد ووضعوا بينهن مائدة وعليها أباريق ماء ، ثم اختفوا من حيث جاءوا ، وبعدما اطمأن سحنون على انصرافهم ، دخل من الباب الذي اخرجوا منه الكراسي السبعة ، فوجد حجرة صغيرة خالية من الأشياء إلا من صندوق خشببي في إحدى أركانها ومغلقا بقفل فحاول فتحه فلم يستطع ، وأثناء محاولته سمع أصواتا آتية فاختفى في ظلام الصندوق ، وشعر أن رجالا دخلوا الغرفة التي صفت فيها المقاعد ، وقد جلسوا على

الكراسي ، فسمع صوت الساحر ساحر البحر يتكلم فزحف إلى الباب ، ونظر من شق فيه فرأى الساحر يجلس وأمامه رجلان ، وبين أيديهما الخادمان اللذان وضعا القناديل والكراسي والماء ، وسمع ساحر البحر يقول بصوت عميق : يا مفروق ما الأمر ؟! .. وما الذي يحدث في جزائر البحر ؟! .. لم يعد سحرنا ينفع ، ويخيف الناس والملوك .. فقد دمرت الجزيرة الكبرى تاج ملكنا وعظمتنا تدميرا قاسيا لم نسمع له مثيلا منذ وجدنا على أرض هذه الجزائر ، وأذل الملك جنـفل ، وسبيت نساؤه ، وما زال الغزاة يهاجمون الجزر الأخرى .. والديك الساحر مريض ، وما زال يعاني من آثار السم .. وأنا بدأت أحس بدنو الأجل .. ولم أجد من هو كفؤ لوراثتي .. رغم أنني التقيت بشاب قوي ونشيط وذكي ومخلص ؛ ولكني أحيانا لا ارتاح له مع ما سحرني به من قدرة وقوة ، فأخشى ذكاءه علينا رغم الإخلاص الذي يبديه فأحس في بريق عينيه وفي نفسه المكر .. رغم أنني أريد أن اصنع منه وارثا لي ، وقد علمت أيضا أن أكثر تلاميذي يحسدونه ويبغضونه لتقدمه عليهم .. فهو يخدمني بتفان ، وما كلفته بأمر أو مهمة إلا فعلها ونفذها على خير ما يرام ؛ ولكني لا أدري في نفسي شيء مبهم نحوه ، والديك حدثني أنه رأى في عينيه الحقد والكره والانتقام .. ولكنني بحاجة لرجل مثله حسن التصرف والعمل ، فهو حسن التصرف لديه ذكاء وجرأة في الاقتحام والسؤال والمغامرة .. يسألني أنا فاعجب بشجاعته ، يحترمني ؛ ولكنه لا يخاف مني ، فأحيانا أشعر بأنني يجب أن استسلم له واضع ثقتي كلها فيه .

فسمع سحنون الرجل الآخر المنادى بمفروق يقول بحزم وقسوة قلب : إذا كان يشكل خطرا علينا وعلى حياتنا فليمت وتخلص منه وأرح نفسك ووسواسك فالرجال كثير .. !!

ضحك ساحر البحر وقال : أجل الرجال كثير .. الرجال كثير ! وأنت يا سارمون ما تقول ؟

فتنحنح سارمون ثم قال : إذا كان الرجل مزعجا فابعثه في مهمة لا يعود منها حيا .. ولا تتعب نفسك بالتفكير فيه ..

فعاد ساحر البحر يتكلم كأنه حالم : أعجبتني شجاعته وجرأته عندما التقينا قبل سنوات ..

لقد اشتراه دوق بر عبدا رقيقا من مدينة الكمن ، فقد أسره قراصنة البحر وباعوه رقيقا في الكمن لتاجر كبير ، ثم باعه التاجر لرجال الملك دوق بر ، فأرسله لبلاد المال والغال – يحتاج المرء لاثني عشر شهرا أو أكثر ليصل إليها – بما فيها من المخاطر فمع ذلك ذهب إليها ، وأتى بأخبارها للملك دوق بر وعاد ، رحلة ثلاث سنوات .. لم يهرب ! كان بامكانه الحياة في تلك البلاد والمدن .. أي وفاء هذا ! وأي شجاعة هذه ! وكانت معلوماته صادقة ؛ لأنه وقع بين أيدينا ولدان من أبناء تلك البلاد ، وتوافقت الأخبار التي أتى بها بما قالوا ، فهذا يؤكد مسيره لهناك .. ثم أهداه دوق بر للملك جنـفل الأسير .. ثم انتقل ولاؤه لي ، فوقع في البداية من نفسي موقعا حسنا ، وعلمته الكثير من أسرار السحرة ، فتعلمها فأتقنها بسرعة يحسد عليها ؛ ولكني كلما ادقق النظر في عينيه أتوجس منه خيفة ؛ ولكن من ماذا ؟ لا أدري .. أسئلته وأحاديثه مع تلاميذي أحيانا تثير كوامن القلق في نفسي ، وقد مشى منذ أيام للجزيرة ينظر ما حل فيها وما جرى فيها من دمار وفساد .. وأريد أن اقذف به في مهمة صعبة ومرعبة ؛ فإذا نجا من خطرها وشرها سأهبه تاجي ، واقذف نخزات قلبي أدراج الريح ، وأرى أنه أحق به من غيره ، وأن الوسواس لا أصل له ..

ولما لم يعقب أحد على أفكار الساحر ، تابع الكلام قائلا : فلنترك خادمنا سحنونا الآن .. فأين بقية الأعوان ؟! نحن سبعة ، فلم يحضر سوانا .. لقد أرسلت لهم رسلي ، ووعدوني بالمجيء ، ولم يحضر سواكما .. أريد أن أسمع منكم أخبار الجزر ، ومدى استعدادهم للتمرد الحاصل.. أنت يا مفروق ساحر جزيرة اللوى ما عندك ؟

تلفت مفروق يمينا وشمالا ثم قال : حقيقة يا مولاي ! إن الجزيرة التي أعيش بجوارها لحتى الآن هادئة ؛ ولكنها لا تخلو من التوتر والفوضى .. هذا قبل الأحداث الكبيرة التي عصفت بالجزيرة الكبرى ، فكثير من الشبان الجدد يفتعلون المشاكل ، ويتشاجرون مع الجند ، وتحدث معارك بينهم ؛ ولكن هذا المعارك لم تخرج عن سيطرة الملك الشاب .. وأما الأحداث الكبيرة التي ألمت بالجزائر ، وبالأخص الجزيرة الكبرى كانت مفاجئة لي ولأعواني السحرة ، بل

أصابنا الذهول والرعب ! وها هو ملكنا يستعد للدفاع عن جزيرته أو يستسلم لنمرال .. فالأحداث التي جرت في جزيرتنا لم تدفعنا للتشاور معكم ، لم تكن ذات أهمية في نظرنا .. الأحداث الساخنة كانت تجري في جزيرة مورا وجزيرة لولا ، ومع ذلك لم يصل إلينا منها شيئا، لقد كانت العاصفة محكمة التدبير ومفاجئة ، ولما سمعنا بها أصاب الملك جنفل أصابنا الرعب والقلق، وها هم يحاصرون جزيرة برقا .

تنهد الساحر الكبير ثم قال : الحق أننا في كبرى الجزر تفاجئنا بالهجوم ، والذي ساعد هؤلاء على الفوز تعرض الديك الساحر لمكيدة قتل من طرف لا علاقة له بهؤلاء المهاجمين .. فقد حاول ابن أحد ملوك البر البعيد قتله .. وقص عليهم قصة الأمير سبع الغاب والملك دريد ، ثم استمع من الساحر سارمون ساحر جزيرة " هبوب الريح " عن أحوال الجزيرة وأخبارها فلم تكن تختلف عن أخبار جزيرة اللوى كثيرا ، ثم أظهر ساحر البحر الغضب وقال : أود لو اجتمع بساحري جزيرة مورا ولولا ، فلا أدري ما الذي أعاقهما عن هذا اللقاء وأخرهما عن الحضور ؟! فجزرهم غير محاصرة ، بل هي مشاركة في المؤامرة التي تجتاح هذه الجزر ، وستنتظران يوما آخر ؛ فإن لم يحضر أحد من السحرة ، ستعودان لبلادكم ، ولسوف ترون وتسمعون شدة انتقامي من العصاة والمتمردين والغادرين .. سأترككم الآن وأعود للكهف ، وسيقوم العبيد والخدم بما يلزمكم ، وإن أتى أحد من كبار السحرة فاخبروني بواسطة الخادم نبهان .

ووودعهم الساحر ، وعاد من ممر سري إلى كهفه ، واستمع سحنون ورأى كل شيء ، وأخذ يستعد للخروج من الحجرة الرابض فيها ، ويتحين الفرصة للانسحاب دون أن يشعروا به ، وكان يقول لنفسه : ماذا ستفعل أيها الساحر ؟! .. فالمتآمرون في عرينك..فقد كبرت وهرمت وأعلم ما هي المهمة التي ستطلبها مني أيها الساحر الخبيث !

ومع جنح الظلام تسلل للنفق ومنه إلى الكهف ، وهو يتسمع أمامه وخلفه فلم يسمع حسا ، فتيقن أنه لا أحد منهم شعر به من هؤلاء السحرة والخدم .

ومع ضحى النهار كان سحنون يقف أمام الكهف السري في الجبل ، ويعلن عن نفسه ففتحت الصخرة التي تشكل بابا للكهف فدخل ، ولما وصل للحجرة وقبل أن يدخلها طلبوه لساحر البحر ، فأسرع إليه وقبل يديه وقدميه ، وبكى وهو يحدثه عن حال المدينة والناس والدمار والجثث وأسر الملك وتدمير قصره وسلب أمواله وسبي نسائه وبناته وتدمير قصر الديك وهرب السجناء ، فبكى وأبكى وهو يحدثهم بما حل في البلاد من بؤس وشقاء وفناء بعد عز ورغد عيش ونعيم .. فتمزق قلب الساحر من جديد مما سمع ، ولما فرغ سحنون من وصف المشاهد التي رآها في الجزيرة الكبرى ، قال ساحر البحر بحقد وبغض وثورة : سوف ترون يا أبنائي شدة بأسي وحقدي على هؤلاء الجبابرة العتاة !.. سحنون الشجاع .. هل أنت قوي وشجاع ومطيع لأستاذك ومعلمك ساحر البحر ساحر السحرة في كل هذه الجزائر رغم قصر المدة التي جلستها بين يدي ؟

فصاح سحنون بكل ثقة وجرأة : أنا ولدك المطيع الوفي ، مرني بما تشاء وسأنفذه ولو ذهبت هذه . وأشار لصفحة عنقه .

ظهر السرور على وجه الساحر وقال : أيها الشاب الشجاع سأكلفك بمهمة صعبة .. أريد منك أن تكون سيف نقمتي .. أريد منك أن تعدم نمرال اللعين الحياة ..أريد أن يهلك هذا الحليف الوحش لهؤلاء الخونة .. هل أنت أهل لذلك ؟!

نهض سحنون وقال بقوة وحماس : سأفعل أيها الساحر ، متى تريد أن تبدأ ؟.

فسكنت روح الساحر قليلا وعاد يقول : بعد أيام ثلاثة انطلق لتنفيذ هذه المهمة الجبارة واعلم أيها الإنسان أنك إن نجوت منها سالما ستكون أكبر السحرة في هذه الجزائر كلها ..ستكون خليفة ساحر البحر ، وترثني ، وسأطلعك على الأسرار العظمى التي تطمع لها الأعناق .. أسرار حكمي وسيطرتي على كل هؤلاء الناس .. بعد أيام ثلاثة سآمرك بالانطلاق ، فاذهب إلى مكانك واستعد لهذه المغامرة والمقامرة .

في ليل اليوم الثالث وسحنون يستعد للرحيل في صباحه قبل بزوغ فجره ؛ لتحقيق شهوة

الساحر بقتل القائد البربري نمرال ، دخلت قوات غريبة وجنود كثيفة الكهف السري ، وقبضوا على كل من كان فيه من التلاميذ والسحرة والخدم ، وربطوا بالحديد والقيود ، وساقوهم إلى شاطئ الجبل حيث البحر ، فأدرك سحنون أن المؤامرة قد تمت للقضاء على ساحر البحر ، وندم على أنه لم يخبر الساحر بما سمع أثناء عودته من زيارة الجزيرة الكبرى ، وعلم من الجنود أنهم ما زالوا يبحثون عن الساحر والديك ، وأنهما اختفيا رغم أنهم قلبوا الكهف حجرة حجرة ، وأخذوا ما فيه من الكنوز والسيوف وحملوهم في سفينة ، وكان قائد الحملة على كهف السحرة شابا دون العشرين .. وأثناء سيرهم في البحر أمر هذا القائد بإلقاء السحرة والتلاميذ في الماء ليتخلص منهم ؛ ولكنه قبل قذفهم في الماء أشفق عليهم فطلب من جنوده فك قيودهم حتى يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم أمام حيوان البحر ، وبعد دقائق كانوا يطرحون في الماء ، فكان سحنون الأسير يقول : هكذا أموت طعاما للأسماك والحيتان !! وداعا أيها التاج ! .. تاج المال والغال ..وداعا يا تاج الساحر الكبير !.. وداعا يا دنيا !



الأمير زعيط بن نمير

عادت الأميرة ظبا إلى والدها غاضبة من زوجها الأمير نمير بن دريد الملك ، وقصت على أهلها الإهانة التي لحقت بها ، فتألم الأب وأنزلها في قصره وأكرم وفادتها حتى فاجأهم رسول الأمير بخبر سفره إلى جزائر البحر ، وأعلمهم بوصية ورغبة الأمير بالمولود القادم ، فولدت الأميرة الغاضبة مولودا ذكرا اسمته "زعيط " كما أوصى والده ، ولما عاد الأمير بعد سنوات عينا للملك دوق بر لم يعلم بعودته إلا المقربون والأخصاء ، ولم يسأل عن الأميرة ، ولا عن ولدها إنما علم بولادتها فقط ، واختفى مرة أخرى كما يعلم القراء ، فعاش الغلام في كنف جده والد أمه ، ولما بلغ سن الفرسان من آل دريد أخبرته أمه عن قصة أبيه وأعمامه العشرة ، وأنه أحق بالتاج من الأمير شرارة نائب أبيه على مدينة الحمراء ، وسمع الفتى قصة أبيه وطمعه بتاج المملكة الكبرى بلاد الغال والمال وسفره لجزائر البحر للإتيان بالديك الساحر ، ثم اختفاء أمره وأخباره ، فذهب للحمراء مطالبا بعرش أبيه ، فغضب عليه أهل المدينة وطردوه شر طردة وعيروه بأن يبحث عن أبيه قبل أن يطالب بعرش أبيه .. فتأثر زعيط من كلامهم الجارح والحاد ، وعاد لوالدته غاضبا حانقا على عدم تربيتها له في قصر والده ، وقد نمت في رأسه فكرة البحث عن أبيه الأمير نمير ، وحاولت أمه بكل قوة ثنيه عن ذلك الهدف ، وحاول ذلك جده وأخواله، فأبى وأقسم الأيمان المغلظة ، وأنه لابد من المسير إلى جزائر البحر وأن يعرف مصير والده الذي ذهب منذ سنوات ، ولم تعد تسمع أخباره ، وأمام إصراره وعدم مبالته بغضب والدته ، ندمت أمه ظبا على إطماعه بتاج أبيه ، فقالت له : اذهب إلى عمك جرادي حاكم مدينة كرمه ، فقد تجد عنده أخبار عن والدك الملك .

فرحل زعيط إلى عمه بأسرع وقت واجتمع به وعرفه بنفسه ، فرحب به جرادي، وروى له مغامرته إلى بلاد وجزائر البحر ومحاولته الحصول على الديك الساحر ، وأنه تعلم الزراعة ورحل إلى تلك البلاد مع خادمه المخلص زهدوم ، وكيف وصلا لبلاد الجزيرة الكبرى إحدى الجزر السبعة ؟ وكيف صنع حيلة للوصول للملك جنفل بأن أوهمهم بأن زهدوم هو

جرادي وقبضوا عليه وسجنوه وقربوه هو ، فأصبح بستانيا من البستانيين الذين يعملون في قصر الملكة ، وحدثه عن صبره ومحاولته للوصول إلى الديك وفشله ، وأخبره أنه رأى أباه نميرا هناك ؛ ولكنهما لم يجتمعا لخطورة الأمر ولتنافسهما في الوصول للديك ، وذكر له أن عمه الأمير سبع الغاب حاول قتل الديك بحيلة ذكية ، وقد فشل هو الآخر وقبض عليه وطرح في سجن الجزيرة ، وقد التقى به أبوك في السجن ، ثم اجتاحت الجزائر فتنة كبيرة ومرعبة، وحدثه عن بعض تفاصيلها ، فهرب السجناء ومنهم خادم جرادي وسبع الغاب ، وبعد نجاتهم من القتل والحرق مرات ومرات عادوا إلى هذه البلاد ، وأخبره أن آخر أخبار والده أنه انتقل للعمل مع ساحر الجزيرة أكبر السحرة ساحر البحر الكبير فانتقل لجبل السحرة ، وذكر له دخول البرابرة مع القائد نمرال الجزيرة الكبرى وتدمير الجزيرة وحرقها ، ومن ثم اقتحم هؤلاء الغزاة جبل السحرة وأهلك السحرة ؛ ولكنهم لا يعلمون علم اليقين بموت والده أو حياة سحنون وهو اسم أبيه في تلك الجزر، ومكث زعيط أياما في ضيافة عمه ، ثم سار إلى مدينة عمه سبع الغاب الذي أخبره بقصة رحيله لتلك الجزر وعمله طاهيا حتى وصل لقصر الملك جنفل طاهيا والعمل في مطبخه ، ومن ثم محاولته تسميم الديك الساحر بعدما حاول قتل صاحب طعام الديك ، وحدثه عن فشله في قتل الديك ونبذه في السجن ، وقد أتاه سحنون خادم ساحر البحر على السجن ، ثم حدثت الكارثة الكبرى في الجزيرة ، وهربه من السجن وخادم جرادي ، ثم تكلم عن التقائه بالأمير جرادي ، وعودتهم إلى بلادهم بعدما سنحت لهم الفرصة بعد اختفاء دام أكثر من عام ، وذكر له أن القائد البربري نمرال أرسل جيشا لجبل السحرة وأخذ السحرة والتلاميذ وألقاهم في جوف البحر ؛ ولكنه لا يعلم علم اليقين، هل كان بينهم سحنون الأمير نمير أم لا ؟ ولكنهم علموا أن ساحر البحر الكبير لم يقبض عليه أثناء وجودهم في الجزيرة ، وقد اختفى هو وديكه ، وقد يكون آخرون نجوا من تدمير جبل السحرة ، وبين له أنهم تحروا عنه فلم يصلوا ليقين ، وعادوا لبلادهم بعد غياب طويل يزيد عن عشر سنوات ، ومكث زعيط أياما في ضيافة عمه سبع الغاب كان كل

حديثهما عن جزائر البحر والديك الساحر ، ثم ودع عمه وأبناء أعمامه ، وعاد لأمه وروى لها ما علمه من أعمامه ، وبين لها تصميمه وقراره الأخير بزيارة جزائر البحر ؛ ليتأكد من موت أو حياة الملك نمير .

بعد أيام معدودات شد زعيط بن نمير رحله إلى مدينة الغندور ، ومن هناك سافر مع قوافل البحر إلى جزائر البحر، وبعد رحلة طويلة وصل زعيط لمدينة الكمن، وظل فيها أشهرا حتى تمكن من الانتقال إلى جزيرة الضفدعة ، وبرفقة شاب يكبره بسنين يدعى " حسن " ، ولما دخلاها على حين غفلة من أهلها اشتغل حسن عند حداد ، وعمل زعيط مع صاحبه حسن في صناعة السيوف والسكاكين والأسنة ومشاقص النبل ، وسكن زعيط مع صاحبه حسن في بيت واحد استأجراه من رجل اسمه شوان ، ولقد كانت خطة زعيط بسيطة وهي الاحتكاك بأهل الجزيرة والتعرف على الناس قبل الاستفسار عن أخبار والده وساحر البحر وديك الجزائر ، وكان الحب متبادلا بين حسن وزعيط ، وذات يوم دخل عليه شوان وبعد التحية والسلام شرقا وغربا في الكلام ، فسأله الرجل الشيخ عن صنعته ، فذكر له أنه ابن أحد التجار الكبار ، وقد جاء مع قافلة لمدينة الكمن ، ولما باع سلعه واشترى غيرها من سلع هذه الجزائر أرسلها مع عمه وأقربائه ، وقرر السياحة في هذه الجزر والتعرف على أهلها وطباعهم وعاداتهم وأخلاقهم ، فتصادق مع حسن الحداد في الكمن ، ثم أتيا إلى هنا إلى جزيرة الضفدعة ، وعلم زعيط أن شوان هذا كان يعمل في تربية وتكثير الطيور وبيعها في الأسواق ، ولما كبر سنه ورق عظمه ترك العمل ، وهو يستعد لساعة الرحيل إلى العالم الآخر العالم الجميل الفاتن ، وتكررت المجالس بين زعيط وحسن وشوان ، واستطاع زعيط معرفة أحوال الجزائر والسحرة والملوك ومعارك البربري نمرال ، وعلم منه أن هذه الجزيرة تابعة الآن لجزيرة مورا ، فبعد أن هزم نمرال البربري حكام الجزر، وخضعوا له ، فأخذ حاكم مورا السابق في زمن جنفل الجزيرة الكبرى بدلا من جزيرة مورا التي تنازل عنها لنمرال على أن لا يتدخل نمرال فيه وفي حكمه ولا جزية عليه ، وكذلك جزيرة لولا لا جزية عليها لتعاونهم معه في

اهلاك الملك جنفل وساحر البحر .. وتملك الجزر الستة الأخرى ملكا تاما يحكمها كيف شاء؟ لإن تلك الجزر تحالفت معه من البداية، فخضعت له الجزر كلها ، فبعضها بالقوة وبعضها بالاتفاق والشروط ، ومنها جزيرة الضفدعة ، المهم أصبح هذا البربري سيد الجزر الأكبر .. فنزل جيشه الكبير مورا ، فهو سيد الجزائر هذه منذ بضع سنين لا ينازعه فيها أحد فلما سمع زعيط هذه التفاصيل والقصص الأخرى قال بهدوء : ولكنني علمت أن ساحر البحر الكبير ما زال الملك نمرال يبحث عنه .. ما حكاية ساحر البحر ؟!

قال ذلك من غير ابداء أي اهتمام موحيا لجاره شوان أن الأمر لا يهمه كثيرا إنما يسمع لمجرد تسلية وتمضية الوقت والقضاء على الملل ، فأخذ شوان يقص قصص السحرة في الجزر بحماس وادعاء علم وفهم ، ثم الحديث عن الساحر ساحر البحر والديك الساحر ، وقد اختفيا أثناء الحرب المدمرة في الجزيرة الكبرى وجبل السحرة ، ولا أحد يعلم هل هم أحياء يرزقون أم أموات يبعثون ؟! وحول هذه الاشخاص كان الحديث يدور بينهم في أغلب الأحيان ، وفهم زعيط في نهاية المطاف أن معرفة أخبار ساحر البحر وسر اختفائه لا تعرف إلا بالاتصال بالسحرة والكهان في الجزر ، فكل جزيرة لها ساحر وله اتباع ، فقد تعاون سحرة مورا ولولا مع نمرال عند استيلائه على المدن ، وعلم زعيط أن الملك جنفل ملك الجزيرة الكبرى قديما ما زال يقبع في سجن نمرال ، ولم يعف عنه نمرال ولم يعدمه الحياة بعد .

فرسم زعيط في نفسه خطة للاتصال بالسحرة وتعلم السحر ، ولما وجد شوان هذه الرغبة في نفس زعيط ، وعده بأن يرسله لأحد السحرة الذين يعرفهم وله علاقة بهم ، فأظهر زعيط الفرح والشكر لشوان ، وبعد حين يسير كان زعيط في قصر أحد السحرة الذي رحب به ، وبعد حديث وتعارف قال الساحر : يسرني أن أرى شابا صغيرا مثلك له تعلق بهذه الوظيفة القاسية التي تحتاج لإرادة صلبة ومجاهدات وصوم .. وأخذ يشرح له تفاصيل الانضمام للسحرة في الجزر وعمل السحرة في الجزر ، وما يحتاجه التلميذ حتى يصبح ساحرا جديدا ، ومن ثم يترقى في درجات السحرة والكهنة ، وبعد حديث طويل أظهر الشاب زعيط تعطشه

وشوقه للدخول في سلك السحرة ، واطلع زعيط صديقه حسنا على رغبته الجديدة واتصاله بأحد السحرة ونيته في دخول هذا الميدان ، ولحق زعيط بعد أيام بمعبد السحرة ، وبدأ يتلقى التعليمات والتمارين ، وأظهر نباهة وشوقا للمهنة الجديدة ، واجتاز المجاهدات المفروضة على المريدين والتلاميذ ، وأنهى برنامج الصوم المطلوب ، وقد تعرف خلال هذه الفترة على كبار السحرة في المعبد الكبير معبد السحرة في جزيرة الضفدعة ، وفي خلال سنتين قضاها في المعبد أصبح من التلاميذ الخمسة تلاميذ ساحر المعبد الأكبر ، وتفوق على زملائه فأصبح خادم ساحر المعبد الأول ، فكان يرافقه في زيارته لقصر الملك والأمراء ، وخلال هذه المدة التي قضاها بين أيدي السحرة في معبد سحرة جزيرة الضفدعة لم يصل لشيء عن والده سحنون أو حتى ساحر البحر المفقود ، وبعد زمن أرسله ساحر المعبد مع بعض التلاميذ لزيارة معبد السحرة في جزيرة المورا ومقابلة ساحر الجزائر الكبير ، فرح زعيط لهذه الزيارة لعلها تقرب أمره وغايته ، وبعدما تمت مقابلة ساحر الجزيرة الكبير وكبار السحرة فيها ، وقع الاختيار عليه هو ومريد آخر للبقاء مع سحرة الجزيرة ؛ ليتعلموا المزيد من السحر والكهانة حتى يلتحقوا بخدمة ساحر المعبد الكبير الساحر " شردوق " ، وبعد سنة ألحقهم شردوق الساحر بجزيرة السحرة فترة من الزمن ، ثم عادوا وقد ازدادوا علما ومعرفة بالسحر والكهانة ، فلما رجع وقد اجتاز التمارين والمجاهدات الطويلة ألحقهم شردوق بخدمته ضمن الأربعين ساحر ومع الأيام أصبح زعيط عريف عشرة ، وظل يتقدم ويترقى في سلم السحرة حتى أصبح رئيس الأربعين ، ثم جعل نائبا للزعيم شردوق ، وقد اطلع على الكثير من أسرار العمل وعن الخدمة مع الملوك والحكام ، ورغم هذه الدرجات التي ترقى إليها لم يعرف عن أبيه سحنون شيئا ، ولا عن ساحر البحر السابق ، ولا عن الديك الساحر ، أصبح زعيط ذا شأن في الجزر ، فهو نائب الساحر الكبير وهو قريب من الثلاثين عاما ، فلو هلك شردوق ، فأمامه فرصه أن يبايع كبيرا للسحرة في الجزر إذا وافق كبار السحرة في الجزر الثمانية ، وذات يوم دعي ليرى زوجة الملك نمرال ، فهي مريضة وعلى فراش الموت ، فانطلق إليها مع مجموعة من السحرة ،

وقرأوا عليها أورادهم السحرية، وبشروها بالنعيم الأبدي لقاء وجزاء صبرها على مر الحياة والمرض ، ثم دخلوا على الملك وبشروه بموت زوجته القريب ، وعليه أن يهيئ نفسه للحداد ولدفنها حسب الأصول المتبعة ، وبعد أيام طلبوه للملكة المريضة ثانية ، وطلبت أن يدخل وحيدا ليقرأ عليها أوراد السحرة ، فتعجب زعيط لهذا المطلب الغريب ، وبعد تشاور مع السحرة والتلاميذ أذنوا له بالدخول وحده ليقرأ أورادهم السحرية على المحتضرة ، فلما رأته رحبت به ، وبعد كلام عن الموت والمرض والعذاب والحساب عرضت عليه الملكة أن يتخلى عن ثياب السحر والسحرة ، وأن يصبح نائبا للملك نمرال مقابل الزواج من ابنتها ، فتعجب زعيط لهذا المطلب أكثر من تعجبه عندما طلبته وحده واصابته الحيرة ، فذكرت له أن ابنة لها رأته أكثر من مرة أثناء دخوله للقصر، وأنها عجبت من حسنه وجماله ومن عمله مع السحرة ورغبت به بعلا ، وقد حدثت الفتاة أمها بهذا الإعجاب والميل ، فاعتذر زعيط وخشي أن يكون في الأمر دسيسة وكيد ، فبين لها أن رجل المعبد لا يتزوج النساء وإلا حل عليه غضب جميع السحرة في الأرض البر والبحر وطاردته اللعنة والعذاب هو وزوجته ونسلهما إن لم يقتلوه ، فطمأنته من ناحية الملك ، وسيحميه من شر السحرة ولعنتهم ، ولن يصيبه سوء ، فهو سيكون صهر الملك الجبار نمرال ، فبين لها أن الملك قد يحميه أثناء حياته ؛ ولكن بعد مماته كيف يحميه من غضب السحرة ونقمتهم ؟ فأكد لها أن لا خلود للملك فينتقموا منه بعد موته ، وذكر لها الأخطار التي ستصب عليه وعلى ابنتها ، مما دب في قلبها الرعب والقلق على ابنتها ، فاقتنعت بالخطر الذي سيحيق بها والخوف عليها من أذى السحرة ، وقرأ عليها زعيط الأوراد ، ووعدها بكتم الأمر ، وعاد إلى المعبد مع السحرة وهو مهموم يفكر بهذا الخطر الداهم ، ويشاور نفسه ، هل يحدث مولاه الكبير الساحر شردوق بما سمع أم يكتم الأمر كما وعد ؟

ففي الصباح التالي أعلن زعيط أمام السحرة في المعبد عن الصوم عشرة أيام، فحبس نفسه في حجرة من حجر المعبد ، وإذا نوى ساحر الصوم فهو لا يخرج من كهفه البته حتى تنقضي المدة

التي نذرها ، فلما أرسلت الملكة المريضة وراءه اعتذروا لها بصومه عشرة ايام ، فدهشت الملكة فطلبت من الملك أن يتدخل ، فهي لا تحب أن يقرأ أورادهم عليها أحد سواه ، فاعتذر لها الملك بدوره وأرسل إليها مجموعة من كبار السحرة ، فرضيت على مضض بالأمر الواقع ، علم زعيط بالأمر ، فطلب الخلوة مع كبير السحرة شردوق ، وكشف له السر الذي دفعه للصوم ، فعجب للأمر ؛ ولكنه لما علم بإلحاح الملكة على حضوره أكثر من مرة ، وتدخل الملك بنفسه وألزم زوجه بقبول غيره من السحرة ، وأن "زعيط " دخل الصوم، تأكد من صدقه وحسن كلامه ، فقال له فيما بعد : أخاف عليك الفتنة أيها الساحر ، فسأرسلك لجزيرة السحرة عدة شهور حتى تذهب روح الملكة ، وهي عندما تعلم برحيلك لن تكاشف الملك بهوى ابنتها فاستعد للرحيل سرا .

قنع زعيط بهذا الحل ، وهاجر من المورا إلى جزيرة السحرة ، وهناك رحبوا به ترحيبا كبيرا ، فهو نائب أكبر ساحر في الجزائر ، وأتم صومه هناك بعدما مدده أربعين يوما لانقطاعه بالرحيل ، وذات ليلة طلب أحد التلاميذ الخلوة معه، فأذن له، ولما انفردا قال التلميذ : هنا رجل قادم من بلاد بعيدة يرغب المسارة بحديث ، وهو خائف ، فطلب مني أن اذكره لك ، والأمر كما يخبر خطير ، ولا يريد أن يعرف به أحد أو يراه أحد وهو يتكلم معك بسره .

فلما أبدى زعيط استغرابه لهذا الكلام قال : كيف نتقابل إذن ؟!

فقال التلميذ : فكرنا في الأمر .. فاقترح أن تسيح يوما في الجبل وفي طرف الجزيرة .. فهو كما يقول سر خطير .. فهو سر رجل يحتضر وينتظر الموت .

فكر زعيط بهذا الأمر الغريب ثم قال للتلميذ : حسنا ، غدا أعطيك الجواب .

أدرك زعيط بعد ذهاب التلميذ أن هنا في جزيرة السحرة أناسا خطرين ويتآمرون ، وأن لساحر البحر الهالك قديما رجالا هنا ، وأحس أن لساحر البحر القديم أعوانا ويدا في طلب هذه المقابلة ، فصمم زعيط على المغامرة ، وطلب السياحة في جبال الجزيرة لمدة يوم وليلة ، وهذا أيضا من طقوس وعبادات السحرة في هذه الجزائر .

قاده التلميذ إلى مغارة في جوف الجبل ، وبعد حين كان زعيط يجلس بين يدي شيخ هرم فان يتهادى بين رجال ، والتقت العيون ، وأشار الشيخ الهرم للرجال بالانصراف ثم قال بدون مقدمات : أنا ساحر البحر يا ساحر الملك نمرال .

تبسم زعيط وكأنه لم يفاجأ وقال : لقد عرفتك ! رغم أنني لم أرك .. ولقد تمنيت هذا اللقاء أيها الساحر الكبير !

دهش الساحر القديم وتمتم : أنت تمنيت هذا اللقاء ؟! وهل كنت تعلم أنك قادم للقائي ؟ وهل كنت تعلم بحياتي ؟

قال زعيط : شعرت بذلك .. ومن معاشرتي للسحرة في جزيرة الضفدعة والمورا عاصمة الملك ، ومكثي هنا سابقا أثناء التدرب تأكدت أنك لم تمت ؛ ولكنهم يخافون من الحديث عنك .. فوقع في نفسي حب هذا اللقاء .. لذلك لما حدثني تلميذك عن السر والمسارة لم أخش على حياتي .. لأن أي ساحر طامع في مكاني يدس لي هذه الدسيسة ، ومع ذلك وافقت على السياحة يوما حسب اقتراحك لتلميذك .. والآن ماذا تريد أيها الشيخ الفاني ؟!

قال الساحر: قبل أن أذكر لك لماذا أحببت رؤيتك ؟! أريد أن أعرف لماذا تمنيت لقائي ؟!

فقال زعيط : ألا تريد أن تفصح عن طلبك قبل أن تعرف لماذا تمنيت لقاءك ؟!

أجابه ساحر البحر القديم : تكلم يا ولدي فأنت صغير .. هل بلغت الأربعين ؟!

ضحك زعيط وقال : بعد الثلاثين بسنة أنا دخلت سلك السحرة صغيرا أيها الشيخ الهرم .. وأنا أعرف قوتك وعلاقتك مع الديك الساحر ذاك الشيطان .. واعلم أن اتباعك قتلوا بعدما أسروا في كهفك في جبل السحرة ، والذي تمنيته أن أعرف كيف لم تقع بالأسر ؟! رغم أن الخائن والخونة كانوا من رجالك ، وهم الذين فتحوا صخرة الكهف للغزاة الأقوياء ، فدخل جنود نمرال الكهف ، فأين اختبأت ؟! وأريد أن أعرف ما جرى للديك الساحر لشيطانك ، ولتلميذك الخطير سحنون ؟ .. هذه التي أريد جوابها وتمنيت اللقاء من أجلها ..!!

بكى الشيخ الساحر بكاء مرا ثم قال : ذكرتني بتلك الأيام الخوالي ، أما سحنون الشجاع

فوقع في أيدي الغزاة قبل أن يخرج بساعات لتفيذ مهمة عظيمة ، وعلمت أنهم قذفوا بهم لمياه البحر ، وأما الديك فمات متأثرا بالسم الذي أسقاه إياه ابن الملك دريد أحد ملوك البر ، وأما أنا فلي حجرة خاصة ، وفي داخلها مدخل لحجرة أخرى ، لا يدخلها أحد غيري ، اجتمع فيها بالديك الجني الذي يأتيني بأخبار الجزيرة الكبرى ليلا بدون أن يحس به أحد ، ويدخل من سرداب ..فلما هجم الجند على كهف جبل السحرة كنا معا ، فدخلنا السرداب واختفينا بداخله حتى انصرفوا ، فعدنا إلى الكهف واختفينا عن الأنظار حتى تحين ساعة الانتقام ، وقد رتبنا أمورنا ولم يبق إلا القليل .. فنحن بحاجة ومساعدة أمثالك الشباب الطامحين في منصب كبير السحرة .. فقد كشفت لك ما تريد ؛ لتعلم أني أضع ثقتي فيك ، فكن معي وسأمنحك تاجي ، ولا يغرك ضعفي الآن وقوة شردوق ، فشردوق هذا كان من تلاميذي في يوم من الأيام ، وقد طردته وحقرته ، فهو قد انتقم مني وأفسد عليّ رجالي ؛ ولكني سأسحقه فكن معي وسوف تسر، فأنا لم يبق لي في الحياة إلا أيام .. فسأجعلك وريثي الأوحد إن تعاونت معنا للانتقام من هؤلاء البغاة ، فعندي رجال ينتظرون اللحظة المناسبة ليثوروا في الجزر الثمانية وفي جزيرة السحرة أيضا .. واعلم أن المجرم نمرال سيموت وستقتل جنوده وفرسانه ، ولن أكشف لك سرا إذا قلت لك بأنني أعددت رجالا ليقتلوه ، وهم يتحينون الفرصة والساعة المناسبة لسفك دمه .. فإذا تعاونت معنا ستجد منا الجزاء الحسن ، وأنت تعلم أن نمرال هذا غاصب وقادم من خارج الجزر ، وشعوب الجزيرة خاضعون له من خوفهم ، وسوف تضعف قوته ويزول ويهرب جنوده .. فنحن في حاجة لبعض السادة والسحرة الكبار في صفوفنا حتى نستطيع إتمام هذا المشروع العظيم .. ثم سيتبعها عملية تطهير كبرى في معابد السحرة فماذا تقول أيها الساحر الطفل الذكي ؟.

بعد صمت طويل قال زعيط : سمعت لأفكارك الخطيرة وأقوالك العجيبة ، وأعلم أن روح الانتقام تغلي في نفسك أيها الساحر ! وأنك تريد إعادة ملك قد زال ، وقد تنجح وقد لا تنجح فالخونة كثر بيننا أقولها بصراحة .. وأنت تعلم أن من أكبر أسباب سقوطك وتدمير الكهف

كهف الجبل ضعف رجالك وتلاميذك المقربين ، وأما أنا فتلميذ ترقى في درجات العلم والسحرة حتى وصلت لأن أكون نائبا لكبير سحرة الجزائر ، فقد يجعلني شردوق الساحر وريثا له .. وأنت تعرض عليّ أن أتعاون معك وأكون خليفتك ، وهذا الأمر غير مضمون كما أرى أيها الساحر الكبير ؛ ولكن بما أنك كاشفتني بالأمر الخطير وأسرارك فسألزم الحياد ؛ وكأنني لم أسمع شيئا .. فوضعي خطير ..

ابتسم الساحر الهرم بحزن رهيب وقال : تلزم الحياد ؟! وكيف أصدق ذلك ؟!

وصفق بيديه فحضر بضعة رجال وأحاطوا بهم ، وسمع الساحر العجوز يقول : تحدثت أمامه كلاما خطيرا .. فلا أحب أن يعود لصومه .. فليمت ، فهو في سياحة ولن يدري أحد بموته .

فقال زعيط بثقة وقوة وضحك فيه نبرة سخرية : تمهل أيها الساحر ! .. فلو قتلتني فلن تعود لك المكانة الأولى ، ولن تنتصر على شردوق ، فهو يعلم أنك تعيش في كهفك السري مختبئا هاربا .. وأنك تتردد على الجزيرة ، وذكرت لك أن بين رجالك خونا . . وعيونا ! .. فشردوق يريد لك أن تموت حزينا مهموما متحسرا .. وأنا لست غبيا حتى أقدم لهذا المكان من غير آخذ احتياطاتي ، وأصدق تلميذا لا معرفة لي به ولا ثقة لي به .. وأنا قبل هذا اللقاء كشفت سر هذا اللقاء لبعض تلاميذي الذين لن يعرفهم جواسيسك في جزيرة السحرة .. وأنا لما أردت الحياد .. لأني لا أريد أن أدور في صراع على منصب لا أطمح إليه .. فقد عرض عليّ هذا المنصب من شردوق ومن الملك المرعب نمرال ، وعرض عليّ أيها الساحر خلع ثوب السحرة والكهنة والزواج من ابنة الملك نمرال .. ولابد أن جواسيسك هناك عرضوا عليك كثرة ترددي على الملكة .. واعلم أنني جئت لهذه الجزيرة خوفا من الفتنة ومن العودة لحياة العامة .

فقال الساحر بعد تأمل ونظر : سأتوقف عن قتلك هذه اللحظات ؛ ولكني سوف أحبسك وأخفيك عن الأنظار لنتحقق من صدق ما تقول .

قرية الصيادين

وأمر الساحر رجاله أن يوثقوه ويسوقوه إلى قرية الصيادين ، وعند صيادي البحر يحبسونه حتى تنجلي معركة الثأر ، فقام الرجال بتقييده ، ولما دخل الليل حملوه إلى البحر ، ومن هناك ساروا به إلى قرية الصيادين ، وهي قرية مليئة بأكواخ الصيادين وهي قرية كبيرة .. وهي قرية يسكنها الصيادون فنسبت إليهم ، ومع آخر الليل كان زعيط ينقل لأحد الأكواخ الخاصة برجال صيد الساحر ، فقذف في حجرة تحت الأرض ، وأوصوهم بالمحافظة عليه ، وأنه رجل خطير ، وخطره على الجميع ، وعليهم رعايته حتى تأتيهم أوامر أخرى من الساحر ، ورجعوا للبحر ، ومن رآهم ظنهم من الصيادين حضروا بصيد أو أنهم جماعة خارجون للصيد في البحر .

وجد زعيط نفسه على أرض رطبة عفنة فابتسم وقال : لابد من قسوة العيش .. ولابد من الصبر !

وأدرك أن حياته في خطر ، وعليه أن يفكر بطريقة يهرب بها من هذا المكان بدون إمهال ، وقبل أن تبزغ الشمس بخيوطها الذهبية كان زعيط يحل قيوده ، ويتسلل من سجنه هاربا ، وظل يمشى حتى وصل إلى بيت له أشجار كثيرة ، فتسور جداره ، وقفز إلى داخله بخفة الغزال ، فأصبح بين الأشجار ، ولما وصل للبيت هدأت أنفاسه قليلا ، وأخذ يصغي ويتلفت يمينا وشمالا ، فلم يسمع الا أصوات الطيور والبلابل تغرد في ذلك الصباح ، وعجب في نفسه لوجود هذا المنزل الجميل في قرية الصيادين الممتلئة بالأكواخ ، وبعد لحظات شاهد امرأة ورجلا يجلسان في مدخل البيت ، فصنع حركة أشعرت صاحب البيت بوجوده ، فدهش الرجل ودخلت المرأة البيت ، فتقدم إليه زعيط وهو يطلب المغفرة ويعتذر أشد الاعتذار ، وذكر للرجل حاجته للاختفاء من مطارديه ، وقص على الرجل بعضا من قصته ، فعطف عليه الرجل ، وقاده إلى منزل أخفاه فيه وقال له : سوف أعود لك واستمع قصتك بالتفصيل ، فأمرك خطير وقصتك تثير الاستغراب ؛ ولكن ثق بي واطمئن لي ، ولا تحاول الهرب سوف

أخفيك وأدافع عنك .

وعاد الرجل حيث كان يجلس هو والمرأة وطمأن زوجته وقال لها : رجل هارب من أناس يطاردونه ، فقد كان مسجونا عندهم ، وحل قيوده وهرب ، ولا تذكري شيئا لأحد من الناس حتى نتدبر الأمر ونسمع حكايته .



عند الظهيرة حضر رجال وسألوا صاحب البيت عن رجل دخل منزله ، فأنكر الرجل وقال : للأسف أيها الصيادون لم نشاهد ما وصفتم ..ولكن أسمح لكم بالتفتيش في البساتين وبين الأشجار ؛ فلعله دخل عن طريق الأسوار والشجر ، ولكن ما قصة هذا الرجل الهارب ؟!

فرد أحدهم : هو خادم لنا عاقبناه فحبسناه فغافلنا وهرب .. وهذا المنزل يقع في طريقه ، وقد سألنا عنه في كل الأكواخ المبعثرة في الطريق .. فلم يره أحد فقلنا لعله تطفل عليكم .

فهز صاحب البيت كتفيه وعاد للجلوس وقال : على كل حال ابحثوا في البستان وأطرافه قد يكون لجأ إلى هنا .. أما أنا فلم أره .. تفضلوا .. ولا أعتقد أن رجلا هاربا يدخل منزلا كهذا..لأنه يعرف أنكم ستقصدون هذا البيت للسؤال والبحث عنه .

انتشر بعض الرجال في أطراف البساتين وعادوا بعد حين وهم يقولون : لا أحد هنا ، لعله قفز إلى البحر .

فرد آخر : لقد رآه أحد الناس يسير في هذا الدرب المؤدي لهذا المنزل .. فتابعوا البحث في الأكواخ الممتدة من هنا .. فهو رجل خطير ..

فسمع صاحب المنزل هذه الكلمة فقال : رجل خطير ! ولكنكم قلتم إنه خادم لكم .. وهل هذا الخادم بهذه الخطورة ؟!

هزوا رؤوسهم وخرجوا يتابعون بحثهم عن زعيط الذي لا يعرفونه جيدا ، هم رأوا رجالا دخلوا به إلى حجرة معتمة في ظلام معتم وطرحوه فيها ، وأمروهم بالمحافظة عليه والإحسان إليه إلى حين وانصرفوا ، وهم تابعوا نومهم ، ولما استيقظوا في الضحى بعد سهر طويل كما هي عادة أولئك الصيادين تذكروا السجين، فأخذ أحدهم له بعض الطعام ، فوجد القيود ولم يجد السجين ، فاضطربت أمورهم وأصابتهم الصاعقة ، فأخذوا يبحثون هنا وهناك عن غريب لا يعرفون صفته الصحيحة ، وعندما أتى الليل أخذ صاحب البيت الذي لجأ إليه زعيط الهارب طعاما وماء وذهب بهما إليه ، ولما انتهى زعيط من طعامه وشرابه ، وعادت إليه حيويته سمع الرجل يسأله: والآن تكلم أيها الرجل الغريب؟ وكن مطمئنا لي ولا تخش أحدا .

فقال زعيط ممتنا : بعدما أكلت طعامك ، وشربت ماءك ، وأخفيتني لا حاجة بي إلى دليل لأثق بك .. سأقول لك من أنا .. فاعلم أيها الشجاع أنا الساحر هارون نائب الساحر شردوق ساحر جزائر البحر.. لابد أنك تعرفه أو تسمع به ؟

فقال الرجل : كيف لا ؟! ولي في هذه الجزائر أكثر من ثلاثين سنة وكيف لا أعرف شردوق وهو أهم رجل في هذه الجزيرة ؟! .. ولكن ما الذي قذف بك إلى قرية الصيادين ؟! .. فأنت رجل تعيش عند الملوك والأمراء وكبار السحرة وبين المعابد والقصور !!

فقال هارون : معك حق ؛ ولكن لهذا حكاية سأذكرها لك لعلها تنفعك وتفيدك فاعلم أيها الرجل أنني أنا فعلا نائب شردوق الساحر ، وقد أصبح وريثه يوما ما ، وأني سأذكر لك سرا صغيرا جدا احذر أن يعرفه أحد غيرك ، فأنا رجل من رجال السحرة ، وأنا صغير بالسن بالنسبة لكبار السحرة ، ومن يصلون لهذه الرتبة والمكان الرفيع يستطيع الدخول على الملوك والأمراء والقصور كما تعلم .. فشاهدتني إحدى الأميرات بل قل بنت الملك نمرال ، فوقعت منها موقعا مقبولا ورغبت بي بعلا ، وأنت تعلم أن رجال السحرة والكهنة لا يتزوجون وإلا عوقبوا بالسجن أو القتل ، وهذا الإعجاب لم أعلم به إلا من فترة وجيزة عندما دعيت لقصر الملكة المحتضرة لأقرأ عليها أوراد المعبد مع مجموعة من الكهنة ، وهو عملنا المعتاد ؛ ولكنها

طلبت الخلوة وكشفت لي رغبة ابنتها ، فرفضت وبينت لها الخطر المحدق بنا بسبب هذا العمل فطمأنتني بقوة نمرال وجبروته ، فقلت لها إنهم يهلكوننا بعد موته ، وذكرت لها من العلل والأسباب حتى صرفت نظرا عني ، وحاول الملك معي مرة أخرى ، فبين له الكاهن الكبير شردوق شر هذا الأمر المحدث في تقاليد السحرة والمعابد ، فنذرت الصوم والخلوة حتى لا تتصل بي الملكة وتحاول إغرائي ، وطلب مني شردوق بالاعتكاف في جزيرة السحرة لإبعادي عن خطر الملكة حتى ترحل روحها للعالم الأبدي الآخر ، وفي جزيرة السحرة التقيت ببعض السحرة الذين يتآمرون على شردوق الأكبر ، وحاولوا استمالتي إليهم ، وجمعوني بساحر رهيب له ذكريات قديمة في الجزيرة ، وهو ساحر حاقد وناقم على الملك نمرال وأعوانه وكبير السحرة شردوق ، ويحاول إعادة أمجاده الميتة .. وبما إنك ابن هذه الجزائر من ثلاثين سنة لابد أنك تعرفه وتسمع عنه ، فهو ساحر البحر الكبير ذو السطوة والجبروت في عهد الملك جنفل أسير الملك نمرال .

جفل الرجل لسماع هذه الأقوال ، ثم اغمض عينه كأنه يتذكر ، ثم قال : ساحر البحر الكبير ساحر جبل السحرة ما زال حيا ! .. هذا شيء عجيب ! .

فعاد زعيط يقول : نعم ، هو حي منذ حادثة جبل السحرة ، فقد نجا بواسطة الدهاليز الخفية في الجبل .. اجتمعت بهذا الكاهن الحاقد وعرض عليّ العمل معه مقابل خلافته وتاجه ..

فأخذ الرجل يردد : تاجه .. تاجه ..!!

فقال زعيط : نعم تاجه ! .. فوعدته بالتزام الحياد ، فلم يعجبه الأمر فأراد قتلي ؛ ولكن لكلام هددته به ، أمر رجاله بحبسي في قرية الصيادين عند أعوان له لإخفائي عن الأنظار حتى يروا ردة فعل اختفائي في هذه الجزائر ، وعلى أثرها يفكرون بنهايتي .. فهذه قصتي وسبب وصولي إلى هنا أيها الرجل الشجاع ! .. فاعلم أنك الآن في خطر عظيم لمعرفتك هذه الأسرار ! وكذلك لإخفائك لي ، وأنا لن أنسى معروفك ما حييت ، وإذا عدت لمكان عملي في جزيرة المورا سأجزيك خير الجزاء .

بعد أن عرف الرجل صاحب البيت هذه الحقائق المذهلة عاد للبيت مودعا هارون قائلا : بعد ما تسكن الأمور أيها الساحر الكبير سأفعل ما يؤمنك من هؤلاء الوحوش الكواسر .
فقال هارون : أشكرك أيها السيد المجهول على أفعالك الطيبة، واعلم أنني أتمنى أن أرد لك الجميل .. وإني لحظت في تمتماتك وبريق عينيك حكاية فيا حبذا لو سمعتها على نور هذا المصباح لعلي أساعدك وأخدمك في يوم من الأيام .. مع السلامة أيها الرجل الشجاع .
لاحظ صاحب المنزل توتر الوضع في قرية الصيادين ، وظهور رجال من الجزر ، وتردد تلاميذ السحرة إلى القرية ، فعرف وأدرك أنهم يبحثون عن صاحبه هارون ، وبعد فترة هدأت الأوضاع والحركة ، وخف رجال ساحر البحر القديم ، وقد اقتنعوا بهربه من قرية الصيادين أو اقنعوا أنفسهم بذلك ، ولما اطمأن هذا الرجل على الأمر ، طلب من صاحبه الهارب أن يعمل معه في الصيد ، فهو صاحب عدد كبير من قوارب الصيد ، وأحضر له ملابس صياد ، وغير من شكله وشاربه ، وبعد أيام أعلن هذا الرجل أمام الذين يعملون معه عن رغبته برحلة صيد طويلة ، فجهز مركبا كبيرا له ولزوجته وللذين سيذهبون معه ، وانتشر الخبر في القرية بأن الصياد الكبير عبلوم اشتاق للصيد ونزول البحر ، فهو له زمن لم يركب البحر .. ولما تجهز المركب كان مع عتمة الفجر يركب عبلوم وزوجته وزعيط وعدد من البحارة المركب ، وانطلق القوم إلى الصيد ، ومن جزيرة إلى جزيرة حتى وصل المركب لجزيرة المورا ، وفي المكان الذي يصطاد فيه أهل الجزيرة رسا المركب ، ونزل عبلوم وزوجته والصياد المتنكر للتفرج على الجزيرة ، وطلب عبلوم من الرجال الصيد حتى يعود من زيارة بعض الأصدقاء ، ومن ثم مشوا إلى المعبد الكبير، ولما دخلوا المعبد طلب هارون مقابلة رئيس المعبد ، ولما عرفه الرئيس قبل قدميه وعانقه وفرح لعودته ، فقص عليه بعض الخبر ، وطلب منه أن لا يخبر أحدا لخطورة الأمر ، وعليه إعلام الساحر الكبير شردوق ، وحضر الأخير على الفور واستمع لحكاية زعيط ، فغضب غضبا شديدا ،واطلع الملك على جلية الأمر ، وما تعرض له الساحر هارون من الخطف ، فقامت قيامة جزيرة المورا وقامت حملة بقيادة أحد القادة إلى الجزيرة

الكبرى ، واحتلوا جبل السحرة وقبضوا على الساحر الكبير ومن وجدوه هناك ، وقامت حملة أخرى بالذهاب إلى جزيرة السحرة ، وانتشر خبر الحملات في الجزائر الأخرى انتشار النار في الهشيم ..

ولما وصل ساحر الجزيرة القديم ساحر البحر إلى جزيرة المورا خرج الناس لرؤيته، فكان يوما مشهودا في تلك الجزيرة ، وبعد أيام عقد كبار السحرة جلسة واصدروا حكمهم الصارم على إعدام ساحر البحر ، فنصبت له مشنقة كبرى في أكبر ميادين الجزيرة ميدان الفرسان ، وتلا عليه هارون الحكم الصارم بموته أمام الناس ، وأتي بالملك الأسير الهزيل جنفل وبعض قادته وشاهدوا مقتل ساحر البحر الذي كان اسمه يهز قلوب ملوك الجزائر كلها في السنوات الخوالي ، وعلموا أن ديكه الساحر قد مات منذ سنوات من السم الذي وضع له من أحد أبناء البر ، ولما قتل انصرف الناس عنه ، وبقيت جثته معلقة لبضعة أيام كما أمر الملك نمرال والساحر شردوق ، فاقترب من جثته الرجل الذي ساعد هارون بالاختفاء بعد انصراف الناس عنه وهمس : وداعا أيها الشيخ الماكر !! ..كم قبلت قدميك ولثمت يديك ؟!..كنت أحد تلاميذك.. كنت تعدني بتاجك.. ولا أدري كم شخص وعدته به ؟! .. كنت الزعيم المطلق لهذه الجزائر .. ولك أكثر من خمس عشرة سنة تعيش خائفا قلقا طريدا .. وقد سقط ديكك وصاحبك سحنون .. وها أنت رأيت جنـفل الملك الميت .. إن عاقبة الظلم سوداء .. وداعا يا سيدي !! .. والآن يا نمير ألا تريد أن تعود لبلادك ؟ .. أما زلت تذكر بلادك يا نمير تركتها من أجل التاج الكبير .. وجئت إلى هذه الجزائر فغرقت في بحرها وهمومها .. أين أنت يا سبع الغاب ؟ أين أنت يا جرادي ؟ هل ما زلتما أحياء ؟ أليس لي ولد من الأميرة ظبا ؟ هل يا ترى هو حي يرزق ؟!

ولم يستيقظ نمير من غفلته إلا عندما ربت أحدهم على كتفه فجفل ؛ فإذا هو يرى هارون يقول : أين أنت ؟ وأنا أبحث عنك ، وأنت تقف هنا عند هذا المجرم .. هل تعرفه يا عبلوم ؟! ضحك عبلوم ضحكة قصيرة ثم قال : لقد كنت خادما له في يوم من الأيام أيها الساحر .. لقد

انتقمت لي ولنفسك منه .

فقال هارون وهو يفكر بعبارة عبلوم : انتقمت لك ! .. ألا تذكر أنني قلت لك يوما أن لك حكاية يا عبلوم ؟ رأيت ذلك في عينيك ونحن في قرية الصيادين ألا تحب أن اسمعها ؟

فقال عبلوم : أخشى إذا سمعتها أن تلحقني بصاحبي القديم ، ورفع رأسه إلى جثة الساحر المعلقة .

قال هارون : آ .. ألهذا الحد أيها الرجل الشجاع ؟ أنت تشوقني لسماع حكايتك وعلاقتك بهذا الساحر ، وكيف انتقمت لك مع أنك تعيش بعيدا عنه في قرية السمك والصيادين ؟!

فعاد الوجوم والحزن لعبلوم وقال : لهذا أيها الساحر قصة طويلة ، ولا أدري إن كان الوقت مناسبا لسردها ، وأخاف على نفسي منك ومن أسيادك .

فقال هارون : يا رجل لك عليّ معروف كبير .. أنت انقذت حياتي وعذابي من هؤلاء الطغاة الذين لم أسيء لهم قيد أنملة ، ورغم ذلك حكموا عليّ بالموت والذل .

قال عبلوم بحزنه وغموضه : أيها الساحر ! حكايتي لا تهمك كثيرا ، فأريد أن أعود لقريتي ، وفعلت ما استطعت أن أقدمه لشخصك الكبير ، فوداعا .

وأراد أن يمشي ، فقبض عليه هارون من ذراعه وقال : ألا تريد أن نكافئك ؟ فالملك منحك مالا كثيرا ويرغب برؤيتك وشكرك ..؟

فقال عبلوم وهو يرفع يد هارون عن ذراعه : لا أريد شيئا .. ولا أرغب برؤية الملك أيها الساحر فاعفني من ذلك .

فقال هارون : أمرك عجيب !!.. أحد يرغب الملك برؤيته وهو يزهد في هذا .. إن هذا شيء عجيب !.. الساحر الكبير شردوق يرغب بمنحك بركاته والثناء على شجاعتك .

فرفض عبلوم وقال : يا سيدي ! لا أريد ذلك دعني أعود لقريتي .. وأعيش بالهدوء الذي كنت أعيش فيه قبل أن نلتقي .

فقال هارون باستغراب : أمرك عجيب وغريب !! .. هل من شيء يمنعك عن مقابلة هؤلاء

السادة والكبار ؟

فرد عبلوم : لا شيء ؛ ولكني عاهدت نفسي أن ابتعد عن السحرة والملوك .

فقال هارون : يا رجل شوقتني لمعرفة حكايتك .

فقال عبلوم : إن كنت فعلا ترغب بسماع حكايتي وقصتي ، فدعني أرحل وزرني في بيتي في قرية الصيادين وسأفتح لك قلبي يومذاك .

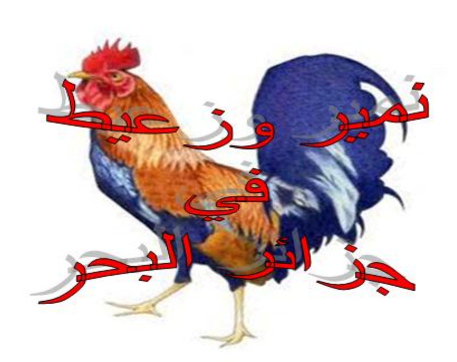
فتنهد هارون بعمق وقال : سأفعل إن كان هذا يرضيك .. وسألحق بك بعد أيام ، وسأرتب أمر رحيلك أيها الرجل الشجاع .

وجهز له مركبا خاصا ووضع فيه صناديق المال والهدايا والثياب ، وودعه بكوكبة من السحرة وأرسل معه حرسا أوصلته لجزيرة السمك والصيادين .

انتهت عاصفة مقتل ساحر البحر في الجزائر الثمانية ، وعادت الأيام هادئة رتيبة بالنسبة لزعيط أو الساحر هارون ، فانشغل من جديد يفكر بأبيه سحنون ، فالسحرة يؤكدون موته ليلة الهجوم على جبل السحرة قديما ، وساحر البحر الهالك يرى ذلك فقال لنفسه متسائلا : هل مات والدي نمير حقا ؟ .. الساحر اللعين لا يدري بالضبط ؛ ولكنه منذ افترقا لم يجتمعا .. عندما خرجت غاضبا من بلادي ظننت الأمر سهلا ، ولي سنوات ولم أصل لشيء يقيني ، لم أتيقن من موته ، ولم أتيقن من حياته ..ولكنهم ذكروا أنه قذف في اليم ، هل غرق وأكلته الحيتان ؟ .. جثته لم تظهر لأحد ، وقد تكون ظهرت عند قوم لا يعرفونه .. الملكة المريضة التي ظننا أنها ستموت عادت تطلبني من جديد ألا تريد أن تموت ؟! ألم تيأس مني بعد كل هذه الأحداث الجسام ؟ هل أهرب وأعود لبلادي دون أبي ؟ .. صديقي حسن سأزوره .. ثم أزور صديقي الصياد عبلوم .. سأهجر هذه الجزيرة حتى تهلك روح الملكة .



بعد أيام سافر زعيط لجزيرة الضفدعة ، وزار صديقه حسنا الحداد ، فوجده أشهر حداد في الجزيرة وصاحب حانوت كبير في الحدادة ، وعنده العمال والخدم ، وله زوجة وأولاد ، فمكث عنده أياما ، والصداقة لم تنقطع بين زعيط وحسن ، فكان كلما أتى جزيرة الضفدعة ينزل عند صاحبه حسن ضيفا، وبعدما قضيت الزيارة ودعه وسافر للجزيرة الكبرى لينتقل منها إلى جزيرة الصيادين أو قرية الصيادين ، فقد كان في داخله شعور مهم ويدفعه إلى هذا اللقاء ، وهو لقاء عبلوم شيخ الصيادين ، ووصل لقرية الصيادين بعد تنقل في المراكب وبعد جهد .. وسار إلى بيت الصياد عبلوم فوجده مغلقا ، فاستغرب هذا ، فسأل عنه الجيران فقيل له إنه قد سافر منذ أسبوعين ولا ندري أين سافر وذهب؟ فتألم هارون لفشله في لقاء عبلوم ، وسار للبحر حيث يتجمع الصيادين فالتقى بجمع منهم فسألهم عن عبلوم شيخهم فذكروا له أنه سافر إلى جزيرة الضفدعة ولسوف يعود .. فترك له رسالة صغيرة عندهم ، ورحل لجزيرة السحرة ، وطلب كهفا واعتزل فيه .



الفارس نمير

نعود لنمير بعد مقتل ساحر البحر صديقه القديم ، فمكث أشهرا ينتظر زيارة الساحر هارون فلم يأت ، ثم فكر بالعودة لبلاد المال والغال بعد الثلاثين سنة التي مضت وهو في جزائر البحر ، وغلبه الحنين والشوق إلى دياره وقومه ، فودع الصيادين ، ولم يخبرهم بقراره النهائي لأنه هو نفسه متردد في الأمر ، فأخبرهم برغبته بالذهاب لجزيرة الضفدعة ، وهناك قرر أن يتخذ القرار الأخير الحاسم ، فأخذ زوجته ورحل من جزيرة إلى جزيرة حتى نزل في جزيرة الضفدعة ، فبحث عن منزل يسكنه ، فدلوه على حسن الحداد ، فقد أصبح من الملاك في الجزيرة بعدما استقر في الجزيرة ، فاجره حسن حجرة ، وللقدرة التي يريدها الله جرت الأحداث التالية ، ذات يوم ونمير جالس في بيته طرق بابه شوان الرجل الهرم الذي هو على حافة القبر ، ولكنه مازال يتحرك من مكان لأخر ، فرحب به نمير ، فقال شوان بعدما استقر على الوسادة التي قدمت قال : من أي الجزائر الرجل ؟

قال نمير للعجوز : من قرية الصيادين قرب الجزيرة الكبرى .

فقال شوان : آ..آ .. جزيرة بعيدة ، ولكني أعرفها ، أنا دخلت كل الجزر في أيام الشباب والقوة .. أنت صياد إذن ؟

فرد نمير : بالتأكيد أنا صياد ؛ ولكني صياد ماهر .

فعاد شوان يقول : هل تعلم أن هذه الحجرة الجميلة التي تنزل فيها كانت لي ؟ .. سبحان الله ! دنيا فعلا عجيبة .. حسن هذا الذي أجرك هذا المكان ، كان يسكن فيها هو وصاحب له اسمه زعيط ..

جفل نمير لهذا الاسم ، فقد تذكر بلاده وظبا والمولود ووصيته لها بتسمية ولده" زعيط " ، فسرح في الماضي البعيد .. الملك دريد وسبع الغاب وجرادي ؛ ولكنه همس فقال : بلاد بعيدة كيف سيأتي إلى هنا ؟! وما يهمه من أمر أبيه .. ؟! فهو لم ير أباه لينشغل به .

فعاد يستمع للشيخ شوان الذي صمت لشرود عبلوم وعجب لتمتمته وسمعه يقول: مالك

شردت الذهن أيها الصاحب ؟! .. صدق أن حسنا وزعيطا سكنا في هذه الحجرة .. فعمل حسن حدادا وبرع في عمله وكبر ، ثم استقل بالعمل وتزوج امرأة من هنا ، واشترى بيتا مجاورا لبيتي ، ثم اشترى مني هذه الحجرة فيما بعد .. فهو ينزل فيها ضيوفه أو يؤجرها للمسافرين ، وأما زعيط وهو الأمر الأغرب أيها الصاحب ..

فقال نمير وكله شوق لسماع أخبار زعيط الذي انقبض صدره لذكره ، وتفاعلت العواطف في كيانه من أجله : الأمر الأغرب ! .. كيف .. تكلم أيها العجوز الفاني ؟!!

فقال العجوز شوان : زعيط هذا عندما أتى الجزيرة أتى لا عمل له ولا حرفة ، اشتغل مع حسن بضعة أيام ، فحدثته يوما عن السحر والسحرة ، فتعلق بها فدفعته إلى أحد أصدقائي السحرة ، فأعجب به وألحقه بمعبده ، فتعلم السحر والكهانة ، وترقى في درجاتها ، ورحل لجزيرة المورا ، وتعلم وكبر حتى أصبح نائب الساحر الكبير شردوق ، فهو اليوم الساحر الكبير هارون ..

فردد الصياد اسم هارون عدة مرات وهو في دهشة كبيرة ، مما أثار عجب شوان ،

ثم صفن لهذه الحكاية الغريبة وقلبها شرقا وغربا ثم قال : زعيط صاحبك وصاحب حسن أصبح هارون نائب شردوق .. كيف أصدقك يا هذا ؟!

فاحتد الرجل شوان وهو يقول : صدقني يا هذا ! وأقسم لك على ذلك .. بل قد زارنا منذ أسابيع .. أنت تقول شوان عجوز خرف .. اسأل حسنا .. لقد قدما من الكمن معا ، وسكنا عندي معا ، ثم أصبح زعيط الساحر هارون ، واعلم أنه رجل طيب، فهو ما زال يرسل لي مالا بين حين وآخر عرفانا منه بادخاله سلك السحرة .



كان نمير حائرا في تصديق ما يسمع ، فقال للرجل بشرود : صدقت ! هذه دنيا غريبة أنت الذي حببت إليه عمل السحرة فأصبح ساحرا كبيرا .

فقال شوان بفخر ونشوة : إيه يا صياد عبلوم ..في سنوات معدودات إنه شاب ذكي فطن .. فهو من سلالة الملوك كما ذكر لي صاحبه حسن .

وما صدق نمير بعودة حسن الحداد في الليل حتى زاره واستمع منه قصة الساحر هارون فأكدها ، وهو يقول : نعم ، جئنا معا إلى هذه الجزيرة .. فعملت مع الحدادين ، والتحق رفيقي زعيط الصغير بالسحرة كما حدثك الشيخ شوان ..وقد سار في درب السحرة لغاية في نفسه وحاجه في نفسه ، فقد أتى وأقبل لهذه الجزائر باحثا عن والده.. فأبوه ملك ابن ملك كبير كما قال لي ذلك ، وقد قضى سنوات طوال في البحث عنه ولم يجده ، فقد يأس من البحث ، وهو يفكر بالعودة إلى أمه إن لم يكن قد عاد ، لقد قدم إلينا منذ أسابيع ثم غادر إلى إحدى الجزر .

فظهر الاصفرار الشديد على وجه عبلوم ، فقطع حسن الحديث عن صاحبه الساحر وقال : ما بك يا سيدي هل من شيء ؟! .. هل أنت مريض ؟!

فرد عبلوم: رأسي تؤلمني اسقني ماء ، ستعود لي العافية ، ما زال في العمر بقية .

خرج حسن للإتيان بكوب ماء لضيفه ، وكان عبلوم يتمتم بدهشة : زعيط .. هارون .. ولدي يا لها من مفاجأة شديدة ! .. لقد انعطف إليه قلبي عندما دخل عليّ البستان أول مرة ! ابني ! ولكن كيف يخطر هذا في قلبي ؟ ابن لم أره وهو لم يرني .. لماذا أتى يبحث عني ؟ دنيا .. دنيا !! لقد أحببته ونحن في قرية الصيادين .. ليتني كلمته عن قصتي إنه يبحث عن سحنون .

عاد حسن بالماء فشربه عبلوم ، وعادت إليه أنفاسه ثم قال : لم تكمل قصة صاحبك زعيط يا حسن ، فقد ظننت أن العجوز شوان قد خرف .

فعاد حسن يؤكد صدق شوان فقال : تعرفت على زعيط في مدينة الكمن ، وتعمقت بيننا الصداقة ، فكشف لي أمره وسبب مجيئه لهذه الجزر ، وأنه قادم من بلاد المال والغال للبحث عن أبيه الأمير نمير ، وقص على مسامعي قصة طويلة بين فيها الأسباب التي أتت به لهذه الجزائر،

فلما عرض عليه شوان العمل في سلك السحرة وجد ذلك قبولا في نفسه ، وفعلا تعلم وتقدم رويدا رويدا ومن درجة إلى أخرى حتى أصبح نائب كبير السحرة في الجزائر كلها ، وما زال صديقا لنا يودنا ويعطف علينا ، وقبل شهر زارني وأخبرني أنه مازال يبحث عن أبيه ، فاخبرني أنه التقى بالرجل الذي كان يخدمه والده ساحر البحر القديم ، وحدثه عن والده واختفائه بعد أسره من قبل رجال نمرال ، وهذا الساحر قتل منذ شهور ، فهذه غاياته يا سيدي .

وقص نمير عليه قصة التقائه بهارون في قرية الصيادين ، وهذا هو سبب اهتمامه بقصة الساحر هارون ، ثم ختم قصته قائلا : هذا شاب مخلص ووفي لأبيه ! رغم أنه لم ير والده منذ ولادته .

فقال حسن : هذا هو الغريب في أمره ! له تعلق كبير بوالده رغم أنه عاش في بيت جده والد أمه بعد رحيل والده الأمير نمير لجلب ديك الساحر الذي يتحدث عنه الناس بهلع وخوف .. وقرر هذا الشاب البحث عنه ؛ لأنه لما كبر وأراد أن يعتلي ملك أبيه ، رفض أهله وشعبه ذلك حتى يعلم مصير أبيه .. فصمم على اللحاق بأبيه ، وها هو له أكثر من عشر سنوات يتحرى ويبحث ، ولم يتيقن من حياته ولا من وفاته .. إنني أحزن واشفق عليه كثيرا ..

وامضيا زمنا يتحدثون عن الساحر هارون وأبيه ثم انصرف نمير لبيته ، وهو يفكر ويحلم بلقاء هارون ويقول : هل هو ابني حقا ؟!.. سأنزل جزيرة المورا .. آه يا بني ! .. عشنا سوية وأكلنا سوية ونحن لا نعرف بعضنا بعضا .

ودع نمير حسنا وشوان ، وأخذ زوجته ورحل إلى جزيرة المورا ، فلما أتاها ترك زوجته في الخان ، وذهب لمعبد السحرة يطلب لقاء الساحر هارون ، فأخبروه أنه سافر إلى جزيرة الصيادين ولم يعد بعد ، فأسف نمير لذلك ، ومكث أياما في المورا ، ثم رحل إلى الجزيرة الكبرى ، ثم استأجر مركبا إلى قرية الصيادين ، ولما وصل المكان رحب به الأهالي وأصحابه والرجال الذين يعملون على مراكبه ، ولما انتهى الترحيب سألهم عن الساحر هارون ، فتذكروه واحضروا له رسالته القصيرة التي يخبره فيها بحضوره إليه ولسوف يعود ، فسأل

الصيادين هل عاد فنفوا ذلك .. ولكن لا صبر عند الانتظار ؛ ولكن أين يبحث ؟ ! فسألهم هل حدثكم بشيء ؟! أين ذهب ؟ أين مشى ؟! فنفوا ذلك فشكرهم ، وأخذ يدبر ويفكر بالموضوع وكيف يتصرف ؟ وهل ينتظر أم يتحرك ؟ ومكث شهرا في الانتظار ويصبر نفسه ، ثم سافر للمورا ثانية ، وطلب رئيس المعبد ، ولما تمكن من مقابلته ذكر له أنه الصياد الذي انقض هارون من رجال ساحر البحر القديم ، وهو يود مقابلة الساحر هارون لأمر ضروري ومهم ، فحاول الرئيس معرفة هذا الأمر الضروري فقال بإصرار " إنه لا يتكلم إلا لهارون لأنه أمر شخصي " وأمام إلحاحه همس رئيس المعبد بأذنه قائلا : الساحر هارون في جزيرة السحرة في عزلة تامة .. ولا يعلم أحد بذلك إلا أنا وكبير السحرة ، واحذر أن تذكر هذا لأحد من الناس انصرف ، وسلم على الساحر هارون، واذكر له أن الملكة تودع الدنيا ، وسوف يفهم عليك .

فودعه عبلوم وسافر إلى جزيرة السحرة ، ولما وصل إليها طلب الحديث مع رئيس الجزيرة ، فلما التقاه أبدى له رغبته بلقاء الساحر هارون ، وأنه يحمل له رساله شفوية من رئيس معبد جزيرة المورا ، فأخبره رئيس الجزيرة أن الساحر هارون غادر الجزيرة منذ أيام ، ولم يذكر له وجهته ، فأكد عبلوم أهمية اجتماعه بالساحر هارون ، فأقسم له الرئيس أن الساحر هارون خرج من عزلته ، وأنه خرج ولم يذكر لهم جهة انصرافه ، فخاب رجاء وأمل عبلوم باللقاء فقال لنفسه : لعله مشى جهة قرية الصيادين فإليها المسير .



سافر للجزيرة الكبرى جزيرة الذكريات ، ومنها إلى قرية الصيادين ورغم لهفتة الشديدة على لقاء ابنه فلم يجده فيها ، فامتلأت نفسه بالإحباط بعد أن داعبها بعض الأمل ، فعجز عن طريقة يصل بها لزعيط ، وندم بأنه لم يكشف السر لحسن الحداد لعل زعيطا يمر به ، فأراد أن

يكشف السر لزوجته ؛ ولكنه خشي أن تفشيه لأحد ، فهي لا تعلم سوى أنه يرغب برؤية الساحر هارون لحاجته إليه ، فظل شهرا يفكر ويقلب الأمر شرقا وغربا وعلى أمل مجيء الساحر كما ذكر ذلك في الرسالة التي وضعها بين أيدي الصيادين ، وفي ذات مساء قال لزوجته إنه صمم أن يتنقل من جزيرة إلى أخرى ، ومن جحر إلى جحر حتى يجد الساحر هارون ، وعرض عليها الانفصال والفراق إلا إذا رغبت بالبقاء معه وتحمل مشاق البحث ، فهو يفكر بعدم العودة لهذه الجزيرة ؛ ولكنها رضيت بالفراق ، فصحتها لا تساعدها بالدوران وكثرة ركوب البحر، فوهبها البيت والمراكب التي يملكها ، وأعلن أمام الصيادين انفصاله عنها ، وأعلم الرجال الذين يعملون عنده أن زوجته المنفصل عنها هي المسئولة عنهم من الآن فصاعدا ، فعليهم أن يتعاملوا معها .. فعرض أحد الصيادين نفسه عليها زوجا فقالت له : سوف ننظر في الأمر .. فاعملوا معي كما كنتم تعملون مع سيدي عبلوم .

ثم أردفت تقول أمام الصيادين : واعلم يا سيدي عبلوم .. أنك متى حللت في هذه القرية ؛ فأنت ضيفي العزيز على الرحب والسعة ، ولا تتردد بضيافتي في أي وقت تشاء .



وودعهم عبلوم ورحل إلى جزيرة السحرة مرة أخرى يبحث عن ولده الساحر هارون ، وهناك سأل وتحرى عنه فتبين له أنهم لم يسمعوا عنه خبرا منذ غادر المكان ، فانتقل لجزيرة المورا وقابل رئيس المعبد الذي استغرب لاختفائه ، وأرسل رسولا من طرفه، ولما عاد الرسول أكد أن الساحر هارون قد اختفى منذ شهور ، فاطلع رئيس المعبد ساحر الجزائر الأكبر شردوق الذي فوجئ هو الآخر بالخبر ، وقلق على حياة الساحر هارون ، وطلب من رئيس المعبد البحث والتفتيش خفية دون إثارة للموضوع أمام الأمراء والسحرة .

فتركهم نمير يبحثون وسافر إلى جزيرة الضفدعة ، ولما دخلها مشى لمنزل حسن الحداد ،

فعرفه حسن فأحسن استقباله ، فسأله نمير عن الساحر هارون ، فقال حسن : لقد كان هنا منذ شهرين ، فمكث أياما ثم انصرف .

فصعق نمير للخبر فأغشي عليه ، ولما أفاق عجب حسن لما أصابه ، فكشف نمير له أمره ؛ بأنه والد زعيط ، فبكى حسن تأثرا وأسفا ، وأخذ يضرب كفا بكف ويقول : يا ليتك ذكرت لي ذلك في المرة السابقة يا سيدي الأمير !! .. لقد حضر هنا زعيط يائسا من لقائك وحياتك ، فهو لا يعرف أنك والده ، فهو يعتقد أن والده قتل في ذلك الحادث .

فروى له نمير قصته من الألف إلى الياء ، فقال حسن بعدما انتهى الأمير من قصته وأخذ في النحيب : يا لها من قصة تكتب بإبر الذهب ورموش العين ! .. والآن يا سيدي الأمير فأنبئك بآخر ما قاله لي في الزيارة الأخيرة إنه يفكر بترك الجزائر والعودة إلى أحضان أمه الحزينة خائبا فاشلا ولا أدري هل نفذ ذلك أم لا ؟! .. وبما أنك تركت السحرة يبحثون عنه ، ولم تجده ، فأقول لعله عاد لبلاده ، فسوف نرحل صباحا إلى الكمن ونسأل عنه يا سيدي .

فقال من بين دموعه الغزيرة التي ما بكت قديما : لا داعي لسفرك سأذهب وحدي

فرد حسن قائلا : سيدي ! سوف أساعدك قدر الإمكان .. فلي أصحاب كثر في الكمن .. وإن التقيت به سأرسله وراءك ، فما عليك إلا أن تسافر لبلادك ، فقلبي يحدثني برحيله إلى هناك ، لقد كان يتحدث عن أمه بشوق الولهان .

سافرا إلى الكمن وقام حسن بالمطلوب ، واستفسر وبحث ، فعرف أن سفنا تحركت منذ أسابيع إلى مدينة الغندور ، فرجح حسن سفره مع إحدى السفن ، فشكره نمير على ضيافته وكرمه وودعه وهو يقول : لابد من العودة الآن سأفتش عنه الدنيا بأكملها وداعا يا حسن ! فإن جاءك أو عرفت بحياته فاذكرني له ، وإنني ذاهب للبحث عنه في بلاد الدنيا كلها ، وسوف يكون مستقري في بلاد المال والغال .

اللـــــقاء

انتظر الأمير نمير قافلة مغادرة لبلاد الغندور ، وبعد طول انتظار تجهزت قافلة فسافر نمير معها ، ولما وصل للغندور سافر لبلاده متنكرا بصورة جواب آفاق في الأقطار والأمصار ، وسكن في خان ، فعرف أحوال البلاد وأخبارها وما جرى فيها في كل العقود الماضية التي قضاها في جزائر البحر ، ثم سافر للمدينة التي تسكن بها زوجته ظبا ، وقضى أياما يسأل ويتحسس أخبار الأمير زعيط فلا خبر ولا أثر، فاحتار نمير في حاله وحال ولده ، فيتساءل " هل أعود للجزائر ؟! .. جزائر البحر .. آه يا أبتاه ! لقد جنيت علينا .. لا لا ، بل نحن جنينا على أنفسنا! .. الحمد لله .. فسبع الغاب حي ، وجرادي حي ، وأنا حي .. إنهم عادوا إذن ونجوا وها هو كل أمير مستقر بأمارة ومدينة .. آه لقد أمضيت عمري اركض وراء الوهم ! وعدت ومعي الوهم الكبير .. أشرب حسرة التاج .. وحسرة الولد .. هذه هي الدنيا يا نمير بن دريد .. ماذا أعمل هل أعود لمدينة الحمراء ؟! .. إنني لم أنس اسمها بعد..واكشف نفسي..وهل يصدقنني أبناء العمومة ويعطونني ملك مدينتي ؟ هل ينكرونني ؟! لا يستطيعون ، فأخي سبع الغاب يعرفني ، وكذلك جرادي .. لا لن اكشف نفسي قبل أن يظهر ولدي زعيط .. هل أرحل لجزائر البحر ؟! .. الزمن ! آه منك يا زمن .. احتاج لسنوات للوصول هناك .. هل يتقابل زعيط بحسن ونجتمع ؟ أريد الحياة لأرى ولدي وأعانقه وأشم رائحته قبل وداع هذه الدنيا !

ترك زعيط عزلته في جزيرة السحرة ، وتدبر حاله وتذكر أمه وحن إليها حنانا كبيرا شغلت نفسه وأحلامه ، وترجح لديه هلاك أبيه ، فقرر أن يعود للبلاد ، فخرج من جزيرة السحرة وخلع ثوب السحرة المعروف ، وتنقل من جزيرة إلى أخرى حتى التقى بحسن كما ذكرنا ، وحدثه بحنينه وشوقه لأمه ولبلده وفعلا سافر للكمن ، ومنها إلى الغندور ، ولما ترك الغندور وسار باتجاه بلاده دخل مدينة اسمها " حمار الرحى " ، وكان دخوله مع الضحى ، فشاهد الناس جماعات وأفرادا وبكثرة ، فسأل أحد الناس عن الأمر ، فقال الرجل : ابنة الملك قد

بلغت سن الرشد ، وسوف تخرج للساحة العامة ساحة المدينة ؛ لينظر إليها الشباب والناس ، ومن استحسنها ورغب بزواجها ، فليتقدم لوالدها يخطبها منه ، فيختبره الملك بسؤال والملكة بسؤال والابنة بسؤال ثالث ، ومن نجح في الإجابة فيكون لها بعلا دون سواه .. هكذا يزوج الملك بناته ، ومن نجح في الإجابات يصبح صهر الملك ولو كان رجلا فقيرا معدما .



راقت الفكرة لزعيط وصمم التريث في هذه المدينة ؛ لينظر الأميرة المعروضة للزواج لعله يفوز بنكاحها إذا وقعت من نفسه موقعا طيبا ، فيخطبها من والدها ويعود بها إلى أمه بعد أن فشل بأن يعود بأبيه ، فسار مع الناس إلى الساحة العامة ، وهناك وجد الناس بالآلاف ، وعند الظهيرة ظهرت الأميرة " زهرة " على جواد أبيض وثياب زاهية ، وخلفها ثلاث جواري على خيول حمراء مزركشة بالأجراس والقماش الملون ، وخلفهم كوكبة من الفرسان .. ودارت الأميرة ساعة في الميدان أمام أعين شبان المدينة ، وهم يحيونها ويرمون عليها الأزهار والورود ، ثم توقفت أمام عرش الملك والأمراء ، فنهض رجل جهوري الصوت وصرخ بأعلى صوته : ابنة الملك العظيم الأميرة زهرة قد بلغت سن القران !! وها هي ظهرت أمامكم ، فمن وجد في نفسه قوة لمصاهرة الملك فديوان الملك مفتوح يرحب بكم .. هلموا أيها الناس إلى مصاهرة الملك .

وصفق الناس طويلا ، ثم أخذوا بالانصراف لمنازلهم ونواديهم ، وتبعهم زعيط بن نمير ونزل في فندق في المدينة يلتقط أخبار الخاطبين والطامعين بمصاهرة الملك بنكاح ابنته الأميرة زهرة التي كانت في الساحة كالبدر ليلة تمامه، فعلم أن أكثر من عشرة شبان تقدموا للأميرة وفشلوا في الاختبار ، وحبسوا حتى ينجح أحد الناس بخطبتها فيخرجون من السجن ، صبر نفسه حينا من الزمن في الانتظار حتى علم أن الخطاب قلوا ، فزحف لديوان الملك ، وقدم نفسه بأنه

غريب وشاهد الأميرة في ذلك اليوم الغريب ، وهو مستعد للامتحان ، فرحب به الأمراء وأذنوا له برؤية الأميرة العروس والحديث معها ، فأول من يسأل الخاطب عادة الأميرة نفسها ثم الملكة ، ثم الملك ، فلما دخل على الأميرة تفحصته من أعلى رأسه إلى أخمص قدميه ، ثم سألته عن اسمه وحاله ، فبكى صاحبنا ، فتعجبت الأميرة وقالت بدهشة وخوف : ما بك ولماذا تبكي ؟!

فقال من بين دموعه : أنا مثلك أيتها الأميرة أمير ابن أمير ، فهل طرق مسامعك اسم الملك دريد ملك بلاد المال والغال فهو جدي ؟

فقالت : يحدثنا الآباء عنه .. فهل أنت حفيده ؟!

قال : أجل ، يا ابنة الكرام ! وقص عليها بعض قصته ، فبكت الأميرة بكاء حزينا ورق قلبها له ، فلما طال الحوار دخل عليها الحرس فصرفتهم ، ثم قالت له : ذهبت إلى جزائر البحر تبحث عن أبيك ؟ وصنعت ما صنعت من أجل أن ترى أباك الذي تركك في بطن أمك باحثا عن العلا ؟! .. إنني معجبة بك ووقعت من نفسي موقعا جميلا ..سأدعوك لتقص قصتك على أمي وأبي ؛ فإن وافقا عليك سأقبلك بعلا وأعفيك من الأسئلة لشهامتك وحبك لأبيك ؛ ولأنك اخترتني وأنت الأمير ابن الملك .. ولكن هل أنت واثق من نفسك وتريد الأميرة زهرة حليلة لك ؟!

فقال : إي والله .. سأقص حكايتي على والديك ؛ ولكني سوف أجاوب على أسئلتكم .

ضحكت الحسناء وقالت : سأكشف لك السر .. سر الأسئلة أيها الأمير الشجاع الطيب .. فهل تريد فتاة مثلي زوجا مقداما خيرا منك ؟! فلقد أثرت فيّ حكايتك أشد التأثير أيها الفارس سنوات عظيمة من شبابك أفنيتها في البحث عن أبيك .. هذا شيء عظيم !.

لقد سحر زعيط من كلماتها وذاب بها شوقا وهياما ، ذلك الشاب الذي قضى سنوات عمره وشبابه في معابد السحرة والكهنة فقال بانجذاب : وأنا أعجبت بك أيما إعجاب ! ولكني سوف أجاوب الأسئلة كباقي الخلق ، وإن نجحت سأرضى بك، وإن فشلت فهذه قسمتي

أيتها الأميرة .

فقامت الأميرة تتمشى في الحجرة ، ثم التفت للفارس النبيل وقالت : تمهل أيها الفارس ! .. سأقص عليك قصة الأسئلة وأسبابها .. حتى لا تظن بنا سوءًا .. اعلم أيها الرجل أن والدي ملك مسالم ، وله من البنات خمس ومن الذكور واحد فقط ، فلما بلغت أختي الكبرى سن الزواج طلبها كثير من الأمراء ، فاحتار أبي في الاختيار من يقبل ومن يرفض ؛ لأنه يريد إرضاء الجميع ، ففكر في القضية ، ووضع هذه الطريقة أو سمها هذه الحيلة وهي الاختبار .. فإذا أعجبت الفتاة منا بأحد الأمراء دون الآخرين ، فتذكر الفتاة موافقتها على فلان لوالديها وهو مناسب لها ، فتكون المخطوبة قد تفاهمت مع من رضيت به ، وأنها اختارته على سائر الناس والفضلاء ، وتسأله سؤالا امام مجلس الحكماء تكون قد أعطته هي جوابه ، فيعتقد الآخرون أنهم فشلوا في الاختبار والامتحان ، وأن فلانا قد فاز عليهم وعرف الإجابة ، والأمير الفائز يعتقد أنه هو حقا الفائز ، ويبقى مقدرا الفضل للأميرة التي فضلته على الآخرين وذكرت له الأجوبة قبل جلسة السؤال ، وبهذه الحيلة اللطيفة يتجنب الملك الصراع والتنافس على الأميرات ، فالفائز مسرور والخاسرون مسرورون أيضا .. واعلم أن هذا السر لم يكشف إلا لك ، ولا يعلمه إلا أبي وأمي والأميرة المخطوبة .. وها أنا قد كشفت لك الأمر قبل الموافقة عليك من أبي وأمي ؛ لأن قلبي يكاد أن يخرج من صدري هوى لك أيها الفارس .. ولي أختان تزوجتا بهذه الطريقة ، ولتعلم أن أزواجهما لا يعلمان بهذه الحيلة ؛ ولكني سحرت بقصتك أيها الأمير !

فأبدى الفارس امتنانه الكبير لحبها الجميل له ، ووعدها بالسعادة والوفاء وسمعها تقول : وغدا عندما أسئلك امام القضاة سيكون معك الجواب ؛ فإذا أجبت بالصواب ، ستقابلك الملكة وتتعرف عليك متظاهرة أنها عرفتك لنجاحك بالاجابة على السؤال الأول – لأنني ساعرفك عليها بعد قليل – وسأهمس لك بجواب اليوم التالي ، وستدخل على الملكة في اليوم التالي وسوف تقابلك وتسألك سؤالا أمام القضاة ، وكذلك يفعل أبي في اليوم الثالث ما

دمت قد رضيت بك .. وما يفعل والدي ذلك إلا حماية للمملكة من الفساد والخراب ..

فتكلم زعيط بكلام جميل يعبر فيه عن مكنون قلبه وهواه بها ، وعن اعجابه بحيلة الأب لاختيار أزواج بناته ، فعادت الفتاة تدافع عن هذا الحيلة قائلة : فإذا رضيت الأميرة بشاب ووافق هواها واتفقا واقتنعت بأنه الزوج المنتظر تذكر له البنت منا سؤال الغد وجوابه ، وهو يتظاهر بعدم معرفته أمام القضاة ، ثم يكشفه للأم ثم للأب ، فيظن الزوج أن الأميرة كشفت له الجواب للحب الكبير له في قلبها .. ولكني صادق في الميل لك أيها الأمير .

فعاد الأمير يعلق قائلا : الحق أنها حيلة جميلة ولطيفة ! تريح والديك من المشاكل والقلاقل والآن فما سؤالك يا أميرة الدنيا ..؟ .

ضحكت الأميرة ووقفت أمامه وقالت : السؤال هو هل تعرف اسمي ؟ .. اسمي زهرة وهو المعروف بين الناس وأما اسمي الحقيقي " نور القمر " لا تنس ذلك يا سيدي الأمير !.. وبعد غد تسألك أمي عن اسمها .. فاسمها الملكة جويرية ، وإن سألت غير ذلك فاجب حسب معرفتك وثق بأنني سأكون لك بعون الله ..

فقال ضاحكا : أنا سعيد بلقائي بك .

وعاد الحرس يطرقون الباب ، ففتحت لهم الباب وقالت لهم : اين والديّ ؟.

وذهبت به الى والدتها الملكة ، ثم جاء الأب ملبيا النداء ، وسمعوا قصة الأمير زعيط وتأثروا بها غاية التأثير ، وسلموا بزواج الأميرين ، فالملك دريد بن أنهار رغم هلاكه منذ عقود ما زال الناس يتحدثون بسيرته وحروبه ، ثم ودعهم وقفل للنزل وهو سعيد بما حصل معه من رضا الحسناء عنه ، وعجب من حيلة هذا الأب ليتجنب أهل الشر وتنافسهم على نكاح بناته وقال : حيلة لطيفة !.

في اليوم التالي ادخلوه على مجلس القضاة ، وكانت الأميرة زهرة تجلس بينهم ، وبعد الترحيب شرح له أحد القضاة فكرة الاختبار ، ثم سألته الأميرة متظاهرة بالجدية عن اسمها ، فأحسن الجواب ، وخرج القضاة معلنين توفيقه في الجواب ، ثم اتت الملكة لتتعرف على صهرها

حسب الترتيب المعتاد ، وتركوه مع الملكة الأم برهة من الزمن ، وهنأته بفوزه بقلب الأميرة زهرة وأوصته عليها خيرا ، فوعدها خيرا، ثم أشاع الحرس أن الشاب أحسن الجواب ، وقبل مغادرته مجلس الملكة ذكرته زهرة بجواب الغد ، فشكرهما وهو مسرور من حبها له ، وعاد في اليوم التالي ، وادخل على القضاة والملكة ، وبعدما رحب به من قبلهم سألته الملكة عن اسمها المخفي عن الناس ، فبعد تمهل مصطنع أجاب زعيط أمامهم ما همست له به الأميرة زهرة ، فتبسم القضاة لتوفيقه ، وتسأل هو بين نفسه ، هل هؤلاء القضاة يدركون تلك الحيلة اللطيفة ؟! ، واثنت عليه الملكة ، وأعلمته أن الملك سيقابله بعد خروجه من هذه الحجرة ، ولما انصرف القضاة أخذه أحد الحجاب لغرفة ينتظره فيها الملك ؛ ليجري بينهم التعارف كالمعتاد وكانت زهره هناك ترحب به وهمست له بحل اليوم الثالث والأخير قبل أن يجلس قبالة الملك وفي اليوم التالي وأمام القضاة سأله الملك عن اسم ولي العهد ، فأجاب بما أخبر به يوم أمس وعندئذ طلب الملك منه أمام مجالسيه بعدما عرف عن نفسه أن يحدثهم عن نسبه وقصته في جزائر البحر ، فقص عليهم قصته وقصة أبيه الأمير نمير ، فانفعل القوم لهذه القصة والمغامرة العظيمة ، ورحبوا به صهرا لملكهم وزوجا لابنة الملك ، ثم أعلنت الأفراح في المدينة بموافقة الملك على زواج ابنته زهرة من الأمير زعيط بن نمير حفيد الملك المشهور دريد بن انهار ذلك الملك الجبار الحاكم لعدد كبير من المدن والأمصار في ذلك الزمان ، ولقد تم الزواج السعيد ، وفرح الأمير بزواجه من الأميرة زهرة ، ومكثا سنة في رعاية الملك الوالد ، ثم استأذن الأمير من عمه الملك واصهاره بالعودة لبلاده ، فتجهزت قافلة الأميرة والحرس اللائق ، وكان الأمير قد أرسل رسولا إلى أمه وأخواله بخبره ، ثم مشت القافلة تقطع الأراضي والأودية حتى وصلوا البلد ، فخرج الأمراء وجده العجوز والد ظبا لاستقباله والفرح بعودته حيا بعدما يئسوا من حياته ، فرحبوا به وبعروسه ، وكان لقاء تحدثت عنه المدينة والأجيال ، وفرحت به أمه فرحا شديدا ، وأنزلوه في قصر جميل ، ولما استراح من وعثاء السفر قص قصته على أهله وأخواله ، فعجبوا منها غاية العجب، وفرحوا لعودته سالما من جزائر البحر ونجاته

من كيد ساحر البحر ، وأقيمت الأفراح في المدينة الصغيرة فرحا بعودته وزواجه ، وسار خبره في القرى والمدن إلى أن وصل للأمير نمير فتحفز للقاء الكبير والمهم في حياته ، فسار متنكرا لمدينة زوجته ظبا ، ولما هيأ نفسه وروحه للقاء والاجتماع ، ذهب لقصر الأمير زعيط وذكر للبواب حاجته ورغبته في مقابلة الأمير لتهنئته بعروسه ، وقل له عبلوم صياد جزائر البحر في قرية الصيادين على الباب .

دخل الحاجب على الأمير ، وذكر للأمير ما سمعه من الرجل ، فظن الأمير أن الحاجب مخبول أو مجنون ، فطلب منه إعادة الرسالة ، فلما سمعها ثانية قفز مسرعا نحو الباب ؛ كأن به جنة ، وأن ما تفوه به البواب كذبا وخبلا ؛ ولكنه وجد الصياد عبلوم بشحمه ولحمه يقف بالباب ، فالتزمه وعانقه وبكى وهو يقول : الصياد عبلوم يا إلهي !! كيف أتيت من تلك الجزائر ؟! بل كيف عرفتني وعرفت بيتي ؟!

وعادت الذكريات بالأمير زعيط وعبلوم لأول لقاء كان بينهما في قرية الصيادين ، ودخلا إلى ديوان الضيوف ، وهو يرحب به أشد الترحيب ، وجاءت أمه وزوجته يرحبان بضيف الأمير عندما علما أن ضيفه من جزائر البحر ، وأنه ذاك الصياد الذي انقذ الأمير من مطاردة رجال ساحر البحر ، وأخفاه في بيته حتى اطمئن على حياته ، ثم رافقه لجزيرة المورا ، فقدمتا له الشكر والامتنان على حسن معروفه ، فبكى وانتحب الأمير نميرا بكاء شديدا عندما رأى زوجه ولم تعرفه ، فبكوا لبكائه ؛ وفجاءة أمسك عن البكاء ، والتفت للأميرة ظبا وقال بنبرة حادة أدهشت السامعين : ظبا ! ظبا ! .. ألم تعرفي بعلك أيتها الأميرة ؟!

نظر إليه القوم بدهشة وذهول ،ونظرت إليه ظبا بشدة ووقفت تحدق به ، ثم صاحت مذهولة مصدومة : الأمير نمير ! .. الأمير نمير بن دريد !!

فأغشي عليها وصاح زعيط : أبي .. أنت أبي ! عبلوم أبي !!

وصاح الأمير بانفعال شديد : نعم ، أنا أبوك يا زعيط أنا سحنون الذي مشيت تبحث عنه !

وسقط مغشيا عليه ، ووقع الصراخ في البيت ، ففزع الخدم وحضر الأمراء على الفور ،

والحقيقة كما يقول الرواة كانت ساعة رهيبة عجز القلم والرواة عن وصفها ، دموع تملأ الآماق ، وتنساب على الوجنات ، وتنهدات تخرج من أعماق الأفئدة ، شهقات وزفرات عنيفة تخرج من الرئات ، وهناك قبلات ومعانقات حارات ، واستمر النشيج والشهيق والزفير ساعات حتى عادت الأرواح والنفوس لهدوئها وسكونها مما ألم بها من انفعالات وعواطف جياشة ، وكم كان اللقاء ممتعا رائعا بعد فراق طويل .. طويل ! سنوات وسنوات ! .. وسمع الحاضرون قصة الأمير نمير مفصلة محفوظة في الصدور ، وكيف قبضوا عليه كالعصفور في كهف ساحر الجبل ؟ وهو يستعد للانطلاق لاغتيال ملك البرابرة نمرال ؛ ليصبح خليفة لساحر البحر ، وسيق إلى السفينة مكبلا بالقيد والحبل ؛ ومن ثم قرر قائد الحملة بالتخلص منهم وقذفهم في وسط البحر طعاما وقوتا للأسماك ، وذكر لهم شفقة القائد من موتهم مكبلين موثقين ، لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم أمام حيوان البحر ، فأمر بقذفهم محررين من القيود حتى يحاربوا الأسماك والحيتان في قاع البحر ، وكان نمير من أوائل من قذف بالماء ، فلما أحس بالماء قال : أحببت الحياة ، فرفست الماء بقدمي ، فإذا أنا على سطح الماء بالقرب من مؤخرة السفينة الكبيرة التي تمشي على مهل في عرض البحر ، وهم يقذفون الأسرى رويدا رويدا .. فتعلقت بها وجسمي في الماء ورأسي على سطح الماء مخفي في مؤخرة السفينة ، وكانت تسير وأنا متشبث بالحياة ، فحمدت الله على شفقة القائد علينا وفك قيودنا وإلا أكلتني الأسماك فعلا ، ومضت السفينة وأنا قابض على أحد الحبال في المؤخرة وأخشى النوم والضعف ، وأخشى أن يكشفوني فيغرقوني ؛ ولكنهم غارقون في شرابهم وخمرهم حتى وصلت السفن والسفينة التي أنا متعلق بها إحدى الشواطى ، وفي ظلام الليل تسللت إلى الرمال والمرجان ، وأخفيت نفسي حتى رحلوا مع انتصاف النهار ، وكنت منهك القوى ؛ ولكن رغبتي بالحياة جعلتني أقاوم الموت والضعف ، فأكلت من السمك الميت على الشاطىء ، وشربت بعض الماء ونمت ولا أدري كم نمت ؟ ثم مشيت ؛ فإذا أنا في قرية الصيادين ، ولي بها معرفة عندما كنت في خدمة ساحر البحر ، وتظاهرت أمامهم بأني صياد غدر به أصحابه من إحدى الجزر

وألقوني في البحر ، وبدأت حياتي مع الصيادين باسم عبلوم ؛ لأنني كنت من الرجال المطلوب التخلص منهم لعلاقتي المهمة بساحر البحر ، ومع الأيام كبرت في الصيد ، وبنيت ذلك البيت الذي أخفيتك فيه يا زعيط ، وأصبحت من كبار الصيادين في تلك القرية ، وتزوجت امرأة منهم تخدمني إلى أن التقيت بك وتعرف ما جرى ، ثم كنت يوما في زيارة جزيرة الضفدعة وسكنت عند شاب اسمه حسن الحداد وجار له اسمه شوان ، وذات يوم كان العجوز يتحدث معي وذكر اسمك أمامي فتذكرت هذا الاسم الذي أوصيت والدتك أن تسميك به ، وتطور الأمر وذكر لي بعض أخبارك وأنك الساحر هارون ؛ ولكني شككت بكلامه واتهمته بالخرف حتى التقيت بحسن فقص عليّ حسن قصتك ومجيئك للجزيرة تبحث عن والدك نمير ، ولم أكشف نفسي لحسن هذا ، وقد ظننت أنني سألقاك في جزيرة المورا ، فعلمت أنك خرجت منها وذهبت لقرية الصيادين ، فوجدت رسالتك وسرت لجزيرة السحرة ومرة هنا ومرة هناك ، ولم أعثر عليك ، فعدت لقرية الصيادين انتظر مجيئك مرة أخرى كما ذكرت في الرسالة ؛ ولكنك لم تحضر ، وطال الانتظار، ففارقت زوجتي ووهبتها أملاكي ، وعدت إلى جزيرة السحرة ، واجتمعت برئيس المعبد في المورا ، وقاموا بالبحث عنك سرا ، وغلب على ظنهم موتك من قبل أعوان ساحر البحر الهالك انتقاما منك لدورك الخطر في القضاء على ذلك الساحر اللعين ، وندمت أنا بعدم كشف شخصيتي لحسن ، فرحلت إليه وذكرت له من أنا فبكى وانتحب ، وذكر لي أنك كنت عنده من شهور وربما سافرت لموطنك الأول ، فغامرت وجئت إلى هنا متنكرا ، فصدمت عندما علمت أنك لم تعد ولم أسمع لك خبرا، وعدت للحمراء أفكر بالأمر وبالعودة لجزائر البحر ، وكلي أمل أن أراك ، وأتمنى أن تمر على حسن فينبئك بالأمر ، وهذا الأمل الذي منعني من السفر ثانية لتلك الجزر ، ولما سمعت بخير عودتك وظهورك أتيت إليك سريعا يا ولدي .. فهذه هي قصتي أيها الناس !! لي أكثر من أربعين سنة أبحث عن المجد والأمجاد .. وأحمد الرب أن قدر لي هذا اللقاء بولدي قبل الموت وغدا يا أهلنا سنعود إلى مدينتنا وملكنا..وستكون أنت الملك يا زعيط ، ولن أحكم أحدا ،

وسأعوض أمك عما فقدته بغيابنا عنها كل هذه السنوات .. وأطلب السماح والعفو ..وأعلم أن الأيام التي مضت لن تعود .. ما فات مات .. إنما تكفينا سعادتك يا ولدي !

وعاد الجميع للدموع والعتاب والصبر على حوادث الزمن ، وتجهز صباحا الأمير نمير والأمير زعيط وزوجاتهم ، وأرسل الملك نمير وفدا إلى مدينة الحمراء يبشرهم بعودته بعد هذه العقود من السنين والضياع ، فخرج الناس ومن يتذكر الأمير نميرا أو سمع به لاستقباله بعد ذلك الغياب الطويل العجيب ، فاستقبل استقبالا حسنا ، وتنازل الورثة للعرش عن التاج بدون إثارة مشاكل ، فالملك نمير معروف بفروسيته ، وإنه ما غادر البلاد إلا طمعا بحكم المدن الخمس عشرة ، وعين الأمير زعيط ملكا على مدينة الحمراء ، وأقيم احتفال كبير بمناسبة هذا التتويج دعي إليه اخوة نمير الملوك الأحياء وأبنائهم ، وحضر جمع كبير من الأمراء والأميرات من كل المدن لمشاهدة الأمير نمير بعد هذا الغياب الطويل بعدما اعتقدوا جميعهم هلاكه في تلك الجزائر ؛ وليسمعوا قصة الأمير نمير بن دريد في جزائر البحر ، وكان من جملة الحاضرين سبع الغاب وجرادي ، وهكذا أيها السادة الكرام انتهت قصة الأمير نمير وولده زعيط ، ويقول لكم الراوي جابر بن نادر : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وإلى لقاء آخر في قصة أخرى غريبة وعجيبة من حكايات الناس وغرائبهم في غابر الزمن ، قصص تسلي النفوس ، وتبعد عنها الملل ..فحكايات الأمراء كثيرة وحكايات الناس أكثر .



قصص وحكايات الفوارس

مغامرات وخيال وأحلام وأخلاق وأخيار وأشرار وفرسان وشجعان

كل هذا وغيره تجده وتقرأه في هذه السلسلة من القصص

الممتعة والمثيرة والمسلية

١	حسان والطير الذهبي	٢	الأمير جفر
٣	عبدالله البحري	٤	رمان
٥	الأميرة نهر الأحلام	٦	زهلول في ارض الجان
٧	مملكة مالونيا الملك بربار	٨	قطبة بن سنان
٩	حصرم بن سلام	١٠	القصر المهجور
١١	نمير وزعيط في جزائر البحر	١٢	انتقام الفارس شهدون
١٣	الأميرة تاج اللوز وولديها	١٤	الفارس جبل بن مجدو
١٥	سيف الزمان وجميلة	١٦	حكاية ريح البحر
١٧	الملك ابن الراعي	١٨	مدينة نجوان
١٩	الملك زرارة والملكة سفانة	٢٠	أبناء الملك سماك